

تذكرة الشهادتين

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

تذكرة الشهادتين

بقلم:

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

اسم الكتاب: تذكرة الشهادتين

الطبعة الحديثة: ١٤٣٢ هـ /٢٠١١م

Tadhkiratush-shahādatain
(Arabic)

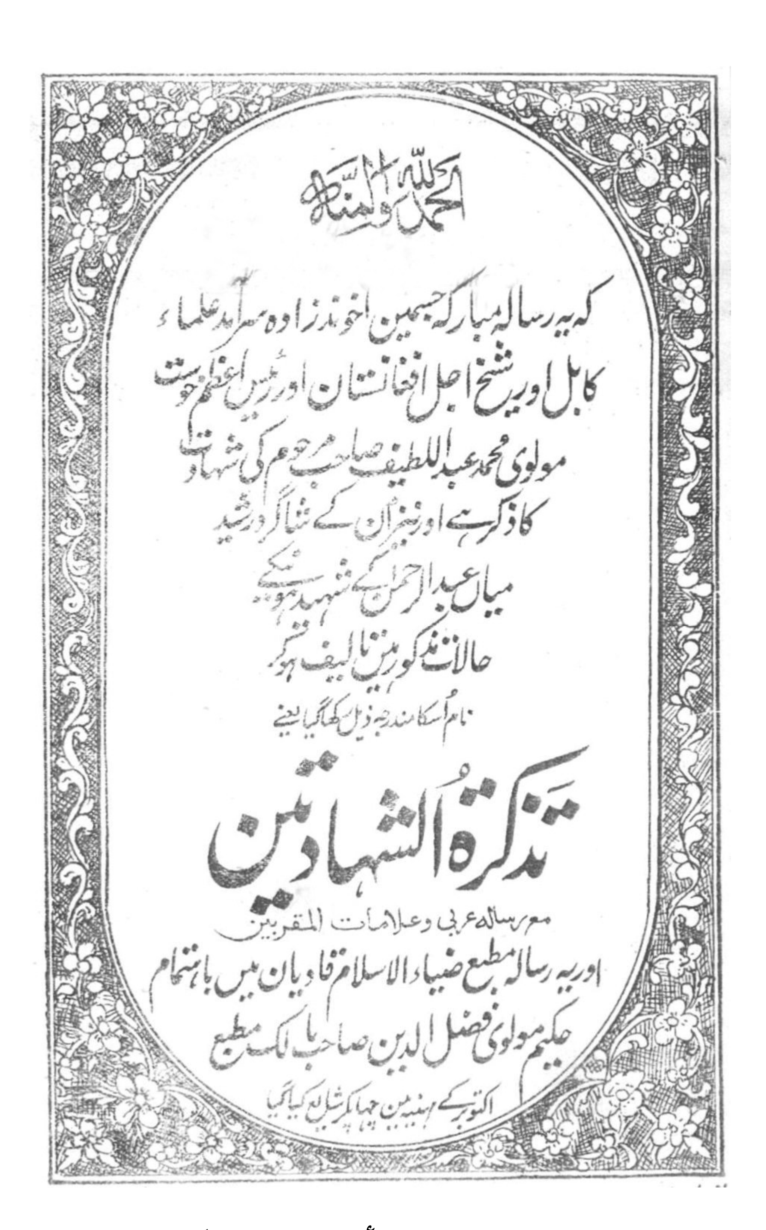
By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace be on him)***, the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyya Muslim Jamā'at***.

First Published in UK in 2011 by:
Al-Shirkatul Islamiyyah Limited
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Tilford

ISBN: 1853728772


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد للہ والمنۃ

کہ یہ رسالہ مبارکہ جسمیں اخوند زادہ سرآمد علماء

کابل اور رئیس شیخ اجل افغانستان اور رئیس اعظم خوست

مولوی محمد عبد اللطیف صاحب مرحوم کی شہادت

کا ذکر ہے اور نیز ان کے شاگرد رشید

میاں عبد الرحمن کے شہید ہونیکے

حالات مذکور ہیں تالیف ہو کر

نام اسکا مندرجہ ذیل لکھا گیا یعنے

تذکرۃ الشہادتین

مع رسالہ عربی وعلامات المقربین

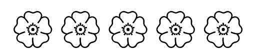
اور یہ رسالہ مطبع ضیاء الاسلام قادیان میں باہتمام

حکیم مولوی فضل الدین صاحب مالک مطبع

اکتوبر کے ہفتہ میں چھاپکر شائع کیا گیا

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

هذا الكتاب قد كتبه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في عام ١٩٠٣م، وجعله قسمين، قسمًا بالأردية ويحتوي على أحداث بيعة واستشهاد اثنين من صحابته السيدِ صاحبزاده عبد اللطيف رضي الله عنه.. أكبر زعماء منطقة خوست بأفغانستان.. وتلميذِهِ البارّ السيد ميان عبد الرحمن رضي الله عنه، اللذين كانا أول شهيدَيْن في الجماعة الإسلامية الأحمدية؛ وقسمًا آخر باللغة العربية محتويا على ثلاثة مقالات أولها بعنوان: "الوقت وقت الدعاء، لا وقت الملاحمِ وقتلِ الأعداء"، وثانيها بعنوان: "ذكر حقيقة الوحي وذرائع حصوله"، وثالثها بعنوان: "علامات المقربين".

لقد استُشهد هذا الرجلان الصالحان تمامًا كما أخبر الله تعالى سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام قبل زمان في وحيه بكلمات: "شاتانِ تُذبحان"، المنشور في كتابه "البراهين الأحمدية" (الجزء الرابع، الخزائن الروحانية ج١ ص٦١٠ الهامش على الهامش)، وهكذا فكانت هاتان الشهادتان آيةً عظيمة على صدق حضرته عليه السلام.

لقد أسهب حضرته عليه السلام في بيان الأدلة التي دفعت السيد عبد اللطيف رضي الله عنه لبيعته، كما ذكر بالتفصيل أوجُهَ الشبه الستة عشر بين المسيح الموعود وبين المسيح الناصري عليهما السلام.

بعد بيان الأحداث المؤلمة لاستشهاده حثّ حضرتهُ جماعتَه على العمل لحياة الآخرة وتقديم الدين على الدنيا، كما تناولَ المعتقدات التي تتميز بها الجماعة الإسلامية الأحمدية.

لقد بيّن عليه السلام أدلة كثيرة على صدقه وخاصة الآية التي قدمها القرآن الكريم حجةً على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وهي: ﴿فقد لبثتُ فيكم عمرًا مِن قبْله أفلا تعقلون﴾، فقال بكل قوة وتحدٍّ: "إنَّكم لعمري لا يمكنكم أنْ تتّهموني بكذب أو افتراء أو خداع في أوائل حياتي بينكم، فتحسبوا أنّ مَن كان معتادًا على الكذب والافتراء لا يبعد أنْ يكون قد اختلق هذا الأمر من عنده. ألا فهل منكم مِن أحد ينتقد شيئًا من شؤون حياتي؟ وما ذلك إلا فضل منه عز وجل إذ ثبّتني على التقوى منذ نعومة أظفاري! وإنّ في ذلك لآية للمتفكرين."

ثم تنبأ في الكتاب عن مستقبل جماعته فقال: "اِسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه لمما أنبأ به خالقُ السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في البلاد كلها، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان. ولسوف تأتي أيام، بل إنها لقريبة، حين تكون هذه الجماعة هي الوحيدة التي تُذكَر في العالم بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك هذه الجماعة

والدعوة بركاتٍ كبرى خارقة للعادة، ويخيِّب كلَّ من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها".

أما القسم العربي للكتاب فقد بيّن حضرته عليه السلام في المقال الأول منه أن الإسلام ليس بحاجة إلى السيف لنشر دعوته، لا سيما في العصر الراهن الذي جعل اللهُ تعالى فيه الدعاءَ حربة سماوية للمسيح الموعود، كما أن هناك أنباء بلسان الأنبياء السابقين أيضا بأن المسيح الموعود سينتصر بالدعاء وأسلحتُه الأدلةُ والبراهين. وقال: لو كانت مشيئة الله تعالى أن يخوض المسلمون في هذا الزمن حروبا دينية لكتب لهم تقدما وتفوقا على الأمم الأخرى في صنع الأسلحة والفنون الحربية وعلومها. وقال ما نصّه: "إنها ملحمة سلاحُها قلمُ الحديد، لا السيف والمُدى".

أما المقال الثاني الذي هو بعنوان: ذكرُ حقيقة الوحي وذرائع حصوله، فقد ذكر فيه بالتفصيل الميزات التي لا بد من وجودها في متلقّي الوحي والإلهام.

أما المقال الثالث الذي هو بعنوان: "علامات المقربين"، وهو تكملة للمقال الثاني، فقد ذكر عليه السلام فيه علامات المقربين إلى الله تعالى وصفاتهم مفصلا، كما أعلن عليه السلام في هذا المقال أنه ذو القرنين أيضا.

وقد نال شرف تعريب الجزء الأردو من الكتاب الداعية عبد المجيد عامر، فجزاه الله أحسن الجزاء. كما ساهم في إخراج الكتاب كل من الأساتذة الأفاضل: المرحوم مصطفى ثابت، سيد عبد الحي شاه، مبشر أحمد

كاهلون، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، الحافظ مظفر أحمد، عبد الرزاق فراز، رفيق أحمد ناصر، نويد أحمد سعيد، حفيظ الله بهروانه، محمد يوسف شاهد، فهيم أحمد خالد، خالد عزام، تميم أبو دقة، هاني طاهر، د. وسام البراقي، د. علي البراقي، محمد أحمد نعيم، محمد طاهر نديم وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

ندعو الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب مباركًا ونافعًا لطُلاّب الحق، وهاديًا إلى طريق الرشد والصواب. آمين

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

تُرتكب تحت أديم السماء أنواع من المظالم عادةً، ولكن الظلم الذي سأذكره فيما يلي يشّكل حادثًا أليمًا يهزّ القلوبَ وترتعد لهوله الأبدان.

وقبل بيان وقائعه بالترتيب، لا بد من ذِكر أنه حين أمرني الله تعالى بتبليغ الحق والإصلاحِ - بعد أن نظر إلى حالة العصر الراهن ووجد الأرض مليئة بأنواع الفسق والمعصية والضلال وذلك حين كان الناس قد اجتازوا القرن الثالث عشر ووصلوا إلى رأس القرن الرابع عشر - بدأت أنادي، تنفيذا لذلك الأمر، بين الناس عن طريق النشرات والخطب؛ أنني أنا ذلك الشخص الذي كان سيُبعث من عند الله ﷻ على رأس هذا القرن لتجديد الدين، لأُعيد إلى الأرض الإيمانَ الذي كان قد ارتفع منها، وأَجذِبَ العالَمَ - بعون الله، وبجذب يده هو سبحانه وتعالى - إلى الإصلاح والتقوى والصدق، وأصحّح أخطاءَهم العقدية والعملية. ولما مضت على ذلك بضع سنوات، كُشف علي صراحةً بالوحي الإلهي أن المسيح الذي كان موعودا

لهذه الأمة منذ البداية، وأن المهدي الأخير الذي كان سينال الهدى مباشرة من الله تعالى في زمن انحطاط الإسلام وانتشار الضلال، والذي كان مقدرًا له عند الله أن يقدِّم تلك المائدة السماوية للناس من جديد، والذي بشّر به رسول الله ﷺ قبل ١٣ قرنا، ما هو إلا أنا.

ولقد تلقيت في ذلك مكالمات إلهية ومخاطبات رحمانية لم تترك بوضوحها مجالا للشك والريب. وكل وحي نزل عليّ كان يترسخ في القلب كوتد فولاذي. وكانت المكالمات الإلهية كلها مليئة بالنبوءات الإلهية العظيمة التي كانت تتحقق كفلق النهار. وإن تواترها وكثرتها وإعجاز قوتها الخارقة أجبرني على الإقرار أنها كلام ذلك الإله الواحد الذي لا شريك له، والذي كلامُه القرآنُ الكريم، ولا أذكر هنا التوراة والإنجيل، لأنهما قد حُرِّفا على يد المحرفين لدرجة لا يمكن أن نسميهما كلام الله.

فالوحي الذي نزل عليّ هو يقيني وقطعي، وجدتُ ربي من خلاله. ولم يصل ذلك الوحي مرتبة اليقين بواسطة الآيات السماوية فحسب، بل كلما عرضتُ جزءًا منه على كلام الله "القرآنِ الكريمِ" وجدتُه منسجما معه تمامَ الانسجام، ونزلت الآيات السماوية تأييدا له كالمطر الغزير. وفي تلك الأيام وقع الكسوف والخسوف في شهر

رمضان كما كان مكتوبا أهما سيحدثان في أيام المسيح الموعـــود، وفي الأيام نفسها تفشى طاعون جارف في البنجاب كما ورد خبره في القرآن الكريم؛ ولقد أخبر الأنبياء السابقون أيـــضا أن طاعونـــا جارفا سيتفشى في تلك الأيام ولن تسلم منه قرية أو مدينة، فهذا ما حدث تماما ولا يزال يحدث. ولقد أخبرني الله تعالى بذلك قبل تفشيه بـــ٢٢ عاما تقريبا حين لم يكن للطاعون في هذه البلاد أي أثر على الإطلاق. ثم نزلت عليَّ إلهامات في ذلك مثل المطـــر، وتكـــررت الفقرات بهذا الخصوص بمختلف الأساليب. فخاطبني الله تعالى وحيًا وقال:

"أتى أمر الله فلا تستعجلوه. بشارة تلقاها النبيـــون. إن الله مـــع الذين اتقوا والذين هم محسنون. إنه قوي عزيز. إنه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. أتفرّون مني؟ وإنّا من المجرمين منتقمون. يقولون إن هذا إلا قول البشر وأعانه عليه قوم آخرون. جاهل أو مجنون. قل إن كنـــتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله. إنا كفيناك المستهزئين. إني مهين من أراد إهانتك وإني معين من أراد إعانتـــك، وإني لا يخـــاف لـــديّ المرسلون. إذا جاء نصر الله والفتح، وتمت كلمة ربك. هذا الـــذي كنتم به تستعجلون. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون. وإن يتخذونك إلا هزوا. أهـذا الذي بعث الله؟ بل أتيناهم بالحق فهم للحق كـارهون. وسـيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. سبحانه وتعالى عمـا يـصفون. ويقولون لستَ مرسلا. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون؟ أنت وجيه في حضرتي. اخترتك لنفسي. إذا غضبتَ غضبتُ، وكل ما أحببتَ أحببتُ. يحمدك الله من عرشه. يحمدك الله ويمشي إليك. أنت مني بمنـزلة لا يعلمها الخلق. أنت مـني بمنـزلة توحيـدي وتفريدي. أنت من مائنا وهم من فشل. الحمد لله الـذي جعلـك المسيح بن مريم، وعلّمك ما لم تعلم. قالوا أنّى لك هذا؟ قل هو الله عجيب. لا رادَّ لفضله. لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. إن ربك فعّال لما يريد. خلق آدم فأكرمه. أردتُ أن أستخلف فخلقت آدم. وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها، قال إني أعلم مـا لا تعلمـون. يقولون إن هذا إلا اختلاق. قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبـون. وبالحق أنزلناه وبالحق نزل. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. يا أحمدي أنت مرادي ومعي. سرُّك سري. شأنك عجيب، وأجرك قريب. إني أَنَرْتُكَ واخترتك. يأتي عليك زمن كمثل زمن موسى. ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون. ويمكـرون ويمكـر الله والله خـير الماكرين. إنه كريم تمشّى أمامك، وعادى لك مَن عادى. وسـوف

يعطيك ربك فترضى. إنا نرث الأرض نأكلها من أطرافها. لتنـــذر قوما ما أُنذِر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قل إني أمِرتُ وأنـــا أول المؤمنين. قل يوحَى إلي أنما إلهكم إله واحد. والخـــير كلـــه في القرآن. لا يمسه إلا المطهرون. فبأي حديث بعده يؤمنون. يريـــدون ألا يتم أمرك، والله يأبى إلا أن يتم أمرك. وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيب. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحـــق ليظهره على الدين كله، وكان وعد الله مفعولا. إن وعد الله أتـــى. وركل وركى. يعصمك الله من العدا، ويسطو بكل من سطا. حل غضبه على الأرض، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. الأمراض تشاع والنفوس تضاع. أمر من السماء. أمر من الله العزيز الأكرم. إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. إنه آوى[*] القرية. لا عاصم اليوم إلا الله. اصنع الفلك بأعيننا ووحينا. إنه معك ومع أهلك. إني أحافظ كل من في الدار، إلا الذين علوا من استكبار. وأحافظـــك خاصة. سلام قولا من رب رحيم. سلام عليكم طبـــتم. وامتـــازوا

---

[*] كلمة "أوى" تستعمَل في اللغة العربية لتقديم الملاذ لأحد بعد تعرضه لشيء من المصيبة أو الابتلاء، وإنقاذِه من كثرة المصائب والهلاك. كما يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٧). كذلك قد استُخدمت كلمة "آوَى" و "أَوَى" في جميع المواضع في القرآن الكريم حين أُريحَ شخصٌ أو قومٌ بعد شيء من المعاناة. منه.

اليوم أيها المجرمون. إني مع الرسول أقوم، وأفطر وأصوم، وألوم من يلوم. وأعطيك ما يدوم. وأجعل لك أنوار القدوم. ولن أبرح الأرض إلى الوقت المعلوم. إني أنا الصاعقة وإني أنا الرحمن ذو اللطف والندى."

ذكر وقائع الشهادتين

في تلك الأيام حين تواتر نزول هذا الوحي الإلهي عليّ، وظهرت الآيات الباهرة والقوية وذاع في العالم إعلاني مدعومًا بالأدلة أني أنا المسيح الموعود، صَدَفَ أن وصلتْ كتبي إلى رجل صالح اسمه أخوندزاده عبد اللطيف في منطقة خوست على تخوم كابول. ووقع نظره على جميع الأدلة النقلية والعقلية والتأييدات السماوية التي سجلتها في كتبي. ولما كان هذا الرجل الصالح طيب الباطن جدا وصاحب علم وفراسة وخاشعا لله وورعا وتقيا، تركَتْ الأدلةُ في قلبه تأثيرا قويا، ولم يجد في تصديق هذا الإعلان أية صعوبة. وأقرَّ طبعه النقي دون أدنى تردد أن هذا الشخص مبعوث من الله، وأن هذا الإعلان صحيح. فبدأ يقرأ كتبي بكل حب وشغف، وجُذبتْ روحه المهيّأة والصافية إليَّ جذبًا، فتعذر عليه البقاء بعيدا عني دون اللقاءِ. وكانت نتيجة هذا الجذب القوي والحب والإخلاص أنْ عقد العزم على الحج بعد الاستئذان من حاكم ولاية كابول، وقدّم إلى الحاكم طلبه بالسفر. ولما كان يُعتبَر عالما كبيرا، بل رئيس العلماءِ في نظر حاكم كابول، فلم يقتصر الأمر على نيله الإذن، بل أُعطِي بعض النقود أيضا مساعدة، وبعد هذا الإذن وصل إلى قاديان.

والذي نفسي بيده، حين قابلني وجدته في طاعتي وتصديق دعـــواي صادقا متفانيا بما لا مزيد عليه، وقد وجدتُه مفعمًا بحبي كزجاجـــة مليئة بالعطر، وكان وجهه نورانيا كما كان قلبه نورانيـــا. إن أروع صفة كان يتحلى بها هذا الولي المرحوم أنه كان يقدّم الدين علــى الدنيا حقيقة، وكان في الحقيقة من الصلحاء الذين يبلغون المنتهى في تقواهم وطاعتهم لله تعالى، ويكونون جاهزين للتخلي عن حيـــاهم وعِرضهم وماهم كما يتخلص المرء من الخشب والأعشاب عديمـــة الفائدة. كان قوي الإيمان ولئن شبَّهتُه بأعظم جبل فإني أخـــشى أن يكون تشبيهي ناقصًا. إن كثيرا من الناس، بعد البيعة ومع تصديقهم بدعواي، لا ينجون تماما من البذرة السامة لتقديم الدنيا على الدين؛ بل تبقى فيهم شائبة منها، كما يبقى في نفوسهم الناقصة شيء مـــن البخل الخفي، سواء كان بالنفس أو العِرض أو المـــال أو الحـــالات الخُلقية. لذا فإنني أخاف دائما عليهم - حين أعرض علـــيهم أيـــة خدمة دينية - أن يتعرضوا للابتلاء فيروا هذه الخدمة عبئًـــا علـــى أنفسهم ويتخلوا عن البيعة. بأي كلمات أثني على هذا الولي المرحوم الذي بذل، ألقى ماله وعِرضه وروحه في طاعتي كما يُلقى الـــرديء من الأشياء.

إنني أرى أن بداية كثير من الناس ونهايتهم لا تكون واحـــدة، إذ يتعثرون بأتفه الأمور أو بوسوسة شيطانية أو صحبة سيئة فيسقطون، ولكن بأية كلمات أبيِّن استقامة هذا البطل المرحوم وصموده الذي ظل يتقدم في نور اليقين في كل حين وآن؟

حين جاءني سألته: بأية أدلة عرفت صدقي؟ فقال: أولا، بالقرآن الذي أرشدني إليكم، وقال: كنت قد توصلت سابقًا بفطرتي إلى أن معظم المسلمين في زمننا هذا قد ابتعدوا كـــثيرًا عـــن الروحانيـــة الإسلامية؛ إذ يقولون بألسنتهم آمنَّا، و لم تؤمن قلـــوبهم، وأقـــوالهم وأفعالهم مليئة بالبدعات والشرك وأنواع المعصية، وبلغت الهجمات الخارجية أيضا قمّتها، وأصبحت معظم القلوب في حجب الظلام بلا حراك وكأنها ميتة، وفُقد من جراء شدة الكسل والغفلةِ - إلّا ما شذ وندر، والشاذ كالمعدوم - الدينُ والتقوى اللذان جاء بهما النبي ﷺ وعلّمهما الصحابةَ ﭫ، كما فُقد الصدق واليقين والإيمـــان الـــذي أُعطِي تلك الجماعة. وكذلك أرى أن حالة الإسلام صارت مثـــل الميت، وقد حان الأوان أن يُبعث من الله تعالى رجلٌ من الغيب يجدد الدين، بل كنت في حالة اضطراب، وأقول في نفسي بأن الوقـــت يضيق يومًا فيومًا؛ ففي تلك الأيام تناهى إلى مسامعي أن شخصا من قاديان في إقليم البنجاب، قد ادعى أنه المسيح الموعود وقد حصلتُ

على بعض مؤلفاتك باستنفاذ الجهود والمساعي، وتأملت فيها بنظرة العدل والإنصاف، ثم عرضتها على القرآن فوجدته مصدقا لكل ما ورد فيها.

فما جذبني أولا وقبل كل شيء هو أنني رأيت أن القرآن الكريم يصرح من ناحية أن عيسى عليه السلام قد مات ولن يرجع إلى الدنيا أبدا، ومن ناحية ثانية يعِد هذه الأمةَ -كما وعد الأمة الموسوية - أن الله تعالى سيرسل فيها عند حلول فترة المصيبة والضلال خلفاء كما أرسلَ لإقامة أمة موسى وإصلاح شؤونها. ولما كان سيدنا عيسى عليه السلام من هؤلاء الخلفاء، وكان قد بُعث في نهاية السلسلة الموسوية، ولم يؤمَر بالحروب، فيُفهَم من كتاب الله حتما، أنه سيُبعث أحدٌ على شاكلته في الأمة المحمدية، في الزمن الأخير أيضا.

كذلك سمعت من فمه كلمات كثيرة مليئة بالمعرفة والحكمة، أتذكر بعضها ونسيتُ بعضها الأخرى. أقام - عبد اللطيف - عندي عدة أشهر، وشُغِف بكلامي حتى آثر سماعه على الحج، وقال إني بحاجة إلى علم يقوي إيماني، وللعلم فضيلةٌ على العمل.

وباختصار، وجدته مستعدا، فنفختُ معارفي في قلبه بقدر ما كان في وسعي. ووضّحْت له أنه من البيّنِ تماما أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ✪ أي أرسلنا إليكم أيضا رسولا شاهدا على حالتكم المتردية. ففي هذه الآية صرح الله جلّ شأنه أن النبي ﷺ مثيل موسى، وفي سورة النور صرح أن الخلافة في الأمة المحمدية تماثِل الخلافةَ في أمة موسى عليه السلام؛ فوجب لتحقق المشابهة بين السلسلتين أن تكون فيهما مشابهة واضحة في أولهما وآخرهما على الأقل، أي لا بد أن يكون في بداية الأمة المحمدية مثيلا لموسى وفي نهايتها مثيلا لعيسى عليهما السلام. ويعترف المشايخ المعارضون لنا أيضا أن سلسلة الأمة المحمدية بدأت من مثيل موسى، ولكنهم بسبب تعنتهم لا يقبلون أن تكون نهاية هذه الأمة أيضا على مثيلٍ لعيسى؛ وبذلك يهجرون القرآن قصدا. أليس صحيحا أن القرآن الكريم لم يصرح فقط أن النبي ﷺ مثيل موسى، وإنما صرح أيضا في الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ◈ أن سلسلة الخلافة في الأمة المحمدية مثيلة لسلسلة الخلافة في أمة موسى؟ ففي هذه الحالة يجب بصورة قاطعة أن يُبعث في نهاية سلسلة الخلافة الإسلامية مثيلٌ لعيسى عليه السلام. ولو ثبتت المشابهة بين بداية السلسلتين ونهايتهما لثبتت المشابهة بينهما بصورة كاملة، لذا فقد تم التأكيد في كل مكان في

✪ *المزمل:* ١٦

◈ *النور:* ٥٦

كتب الأنبياء الأطهار على هذه المماثلة، بل ثَبَتتْ المشابهة أيضا بين المعارضين الذين سيظهرون في بداية السلسلتين ونهايتهما؛ فشُبِّه أبو جهل بفرعون، وشبّه معارضو المسيح الأخير باليهود المغضوب عليهم. وقد أشير أيضا في الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إلى أن الخليفة الأخير لهذه الأمة سيُبعث من بعد النبي ﷺ في فترة تشبه من حيث المدة والزمان بفترة بعثةِ عيسى عليه السلام، أي في القرن الرابع عشر، لأن المشابهة التي تقتضيها كلمة ﴿كما﴾ تشمل المشابهة الزمنية أيضا.

جميع فِرق اليهود متفقة على أن الزمن الذي أعلن فيه عيسى بن مريم النبوة، كان القرن الرابع عشر بعد موسى عليهما السلام. ويرى البروتستانت من المسيحيين أنه حين أعلن عيسى النبوةَ، كان قد مضى بضع سنوات من القرن الرابع عشر بعد موسى، ولكن لا أهمية لقول البروتستانت مقابل قول اليهود المتفق عليه. ولو قبلنا قول البروتستانت جدلا لما حدث خلل في المشابهة بهذا الفرق البسيط، بل الحق أن من مقتضى المشابهة نفسها أن يكون هناك فرق بسيط. كذلك تشبه السلسلة المحمدية، وفقَ القرآن الكريم، السلسلةَ الموسوية في كل خير وشر، وهذا ما أشير إليه في الآيات التالية التي ورد فيها

عن اليهود: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾° وفي موضع آخر ورد عن المسلمين: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ *. والمراد من هاتين الآيتين أن الله تعالى سيهبكم الخلافة والملك، ثم يرى هل تتمسكون بالصدق أم لا. ولقد استُخدِمت في هاتين الآيتين الكلماتُ نفسها عن اليهود والمسلمين، أي كأنهماذُكرا تحت آية واحدة. فأي دليل أقوى من ذلك لإثبات أن الله تعالى شبّه بعض المسلمين باليهود. وأشار بكل صراحة أن بعض السيئات التي ارتكبها علماء اليهود سيرتكبها علماء المسلمين أيضا؛ وإلى ذلك تشير الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾، لأن جميع المفسرين متفقون على أن المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾ هم اليهود الذين نزل عليهم الغضب بسبب رفضهم عيسى عليه السلام، وكذلك في الأحاديث الصحيحة: المراد من عبارة "المغضوب عليهم" هم اليهود الذين حل بهم غضب الله في الدنيا. ويشهد القرآن الكريم أن اليهود لُعنوا على لسان عيسى عليه السلام لبيان أنهم مغضوب عليهم. فالمراد أن المغضوب عليهم - بصورة قاطعة ويقينية - هم اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى على الصليب. إن تعليم الله دعاءَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ - ومعناه ألا نكون يا ربَّنا مثل اليهود الذين

° *الأعراف:* ١٣٠

* *يونس:* ١٥

حاولوا قتل عيسى على الصليب - يبيّن بكل جلاء أن "عيسى آخر" سيُبعث في الأمة المحمدية أيضا، وإلا فما الحاجة لتعليم هذا الدعاءِ؟

ولما ثبت من الآية السالفة الذكر أن بعضا من علماء المسلمين سيشبهون علماءَ اليهود تماما في زمن من الأزمنة وكأنهم سيصيرون يهودا، فمن غير المعقول أبدًا أن يقال بعد ذلك إن عيسى الإسرائيلي سينزل من السماء لإصلاحهم. وذلك لأنه بمجيء نبي من خارج الأمة المحمدية، ينْفَضُّ ختْمُ النبوة أولا، والقرآن الكريم يؤكد بصراحة تامةٍ على أنّ النبي ﷺ خاتَم النبيين؛ فلا تُتصور إهانة أكبر من أن تُشبَّهَ هذه الأمة باليهود، ثم يأتي عيسى من خارجها. فلو صحَّ أن يصير معظم علماء هذه الأمة يهودا في وقت من الأوقات، أي سيتصفون بصفات اليهود، لوجبَ أيضا أن لا يأتي عيسى من خارج الأمة لإصلاحهم؛ بل كما سمّي بعض أفرادها يهودا كذلك سيُسمَّى مقابل ذلك فرد من أفرادها بعيسى.

لا يسع الإنكار أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد سمَّيا بعض أفراد هذه الأمة يهودا كما يتبين من الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، لأنه لو لم يكن مقدرا أن يصير بعض أفرادها يهودا، لما عُلِّم الدعاء المذكور إطلاقا. إن الأسلوب المتبع في الكتب الإلهية منذ أن نزلت، أنه عندما يمنع الله تعالى قوما من عمل ما وينهاهم مثلا

عن أن يزنوا أو يسرقوا أو يتَهَوَّدُوا، فإن في ذلك نبوءة كامنة أن بعضهم سوف يرتكبُ هذه الجرائم. لا يمكن لأحد في الدنيا أن يأتي بمثال منع الله تعالى فيه جماعة أو قوما عن مُنكَرٍ، ثم امتنعوا كلهم عنه، بل الحق أن بعضهم سيقترف المنكَر نفسه حتما؛ فكما أمر الله تعالى اليهود في التوراة ألا يحرِّفوها، وكانت النتيجة أن حرَّفها بعضهم. ولكن الله تعالى لم يأمر المسلمين في القرآن بألا يحرفوه، بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ❖ لذلك ظل القرآن الكريم محفوظا من التحريف.

إذن، فمن سنة الله القطعية واليقينية والمسلَّم بها، أنه حين يمنع -في كتاب- قوما أو جماعة من سيئة، أو يأمرهم بحسنة، فإنه يفعل ذلك بناء على علمه القديم أن بعضهم سوف يخالفُ هذا الأمر. فيُفهم مما أمر الله به المسلمين في سورة الفاتحة أن عليهم أن يدْعُوا ألا يكونوا مثل اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى عليه السلام على الصليب، مما أدى إلى غضب الله عليهم في الدنيا؛ إذ كان من المقدر بحسب علمه تعالى أن بعض أفراد هذه الأمة - الذين يُدعَون علماء - سيحذون حذو اليهود بسبب مكائدهم وتكذيبهم مسيحَ الزمان، وإلا لم تكن هناك حاجة لتعليم الدعاء عبثا.

❖ الحجر: ١٠

من الواضح أنه لا يمكن لعلماء هذه الأمة أن يصبحوا من بني إسرائيلثم يحاولوا أن يقتلوا على الصليب عيسى الذي خلا من الدنيا منذ مدة مديدة. ولما كان يهود ذلك العصر ليسوا موجودين في الدنيا في أيامنا هذه، ولا عيسى السابق أيضًا، تبينَ أن في ذلك إشارة إلى حادث سيحدث في المستقبل، ويراد من هذا البيان أن شخصا سيُبعث في هذه الأمة على شاكلة عيسى المسيح في الزمن الأخير، وأن بعضا من علماء المسلمين في عصره سيسبونه ويؤذونه كما آذى علماءُ اليهود عيسى بنَ مريم من قبل. ويُفهَم من الأحاديث الصحيحة أن المراد من كون علماء المسلمين يهودا، أن يتولّد فيهم، ما ساء من أخلاق اليهود وعاداتهم، ومع أنهم سيُدعَون مسلمين في الظاهر، ولكن تُمسخُ قلوبهم وتتصبغ بصبغة اليهود الذين آذوا عيسى عليه السلام وصاروا "المغضوب عليهم". فإذا كان المسلمون المزعومون أنفسهم، سيتحولون إلى "يهودٍ"، أفليس إهانة لهذه الأمة، أن يُقدَّر لهم أن يصبحوا يهودا، ثم يأتي المسيح المقدَّر له أن يصلح هؤلاء اليهود من الخارج؟ هذا ينافي منطوق القرآن الكريم أيما منافاة. لقد وضع القرآن الكريم الأمةَ المحمدية إزاء الأمة الموسوية في كل خير وشر على السواء، وليس في الشر فقط.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المنطوق الصريح لآية ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هو أنهم يُسمَّون يهودا لأنهم سينظرون إلى مبعوث اللهِ الآتي لإصلاحهم بنظرة التحقير، ويرفضونه ويحاولون قتله ويهيجُ غيظهم وغضبهم في معارضته، ولذلك يسمَّونَ في السماء بـ"المغضوب عليهم" مثل اليهود الذين كذَّبوا عيسى عليه السلام. وقد كانت نتيجة تكذيبهم أن تفشى فيهم طاعون جارف، ودُمِّروا وأبيدوا على يد "طيطس" الرومي. فيتبين من آيةِ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾، أنه سيحل بهم غضب في الدنيا. أما في الآخرة فيكون جميع الكفار مغضوبا عليهم. ولماذا ذكر الله تعالى في هذه الآية - بقوله: المغضوب عليهم - اليهودَ الذين حاولوا صلب عيسى، بل صلبوه بحسب زعمهم: فليكن واضحا أنهم نُعِتوا بـ "المغضوب عليهم" لأن غضب الله تعالى حل بهم في الدنيا، ولذلك علِّمت هذه الأمة دعاء مفاده: ربّنا، لا تجعلنا مثل هؤلاء اليهود. لقد كانت هذه نبوءة، ومعناها: أنه حين يُبعث مسيح هذه الأمة، سيتولَّد مقابله هؤلاء اليهود أيضا، فيحل بهم غضب الله في هذه الدنيا.

ومدلول هذا الدعاء أن بعثة المسيح قد قدِّرت فيكم أيضا، وسيتولَّد مقابله يهودٌ ينزل عليهم الغضب في الدنيا، فادعوا الله تعالى باستمرار ألا تكونوا مثل هؤلاء اليهود.

والجدير بالذكر أيضا أن غضب الله تعالى سيحل بكل كافر يوم القيامة، ولكن المراد هنا، هو حلول الغضب في الدنيا عقابا للمجرمين. واليهود الذين آذوا عيسى ولُعنوا على لسانه - وفق النص القرآني - كانوا أولئك الذين نزل عليهم الغضب في الدنيا، فأُهلِكوا أولا بالطاعون الجارف، أما الذين بقوا منهم، ففُرِّقوا في البلاد بعذاب شديد على يد "طيطس" الرومي. ففي قوله ﷻ ﴿المغضوب عليهم﴾: نبوءة كامنة، أن الذين سيُدعَون يهودا من المسلمين، سيكذِّبون مسيحا يأتي على شاكلة المسيح الذي جاء قبله؛ أي أنه لن يقاتل ولن يرفع السيف، بل سينشر الدين بتعليم طاهر وبآيات سماوية، وسيتفشى الطاعون في الدنيا إثر تكذيب هذا المسيح الأخير أيضا، وسيتحقق كل ما قاله الأنبياء منذ البداية.

أما الوسوسة بأن المسيح بن مريم نفسه، سيأتي إلى الدنيا مرة أخرى، فهي تنافي منطوق القرآن الكريم أيما منافاة. ومن يقرأ القرآن الكريم بنظرة التقوى والإيمان والعدل والتدبر، ينكشف عليه مثل النهار الساطع أن الله تعالى قد خلق هذه الأمة مشابهة للأمة الموسوية تماما، وقدَّر لها الخيرات مقابل خيراتها والشرور مقابل شرورها. ومِن هذه الأمة مَن يشبَّهون بأنبياء بني إسرائيل ومنهم مَن يشبهون باليهود المغضوب عليهم، ومثلُها كمثل بيت فيه غُرَف مزخرفة

جيدة التزيين، لجلوس أناس مثقفين ذوي مراتب عليا، وفيه بيــوت خلاء وقنوات ماء آسن أيضا، وأراد صاحب هذا القصر أن يــبني مقابله قصرا آخر ويوفر فيه كل ما وُجد في القصر الأول. فالقــصر الثاني هو قصر الإسلام والقصر الأول كان قصر السلسلة الموسوية. والقصر الثاني ليس بحاجة إلى القصر الأول في شيء، أي أن القرآن ليس بحاجة للتوراة، كما ليست الأمة المحمديــة بحاجــة إلى نــبي إسرائيلي. كل كامل يأتي لهذه الأمة، سيُربَّى بفيض النبي ﷺ، ووحيُه ظِل لوحي النبي ﷺ؛ وهذه النقطة جديرةٌ بالفهم والاستيعاب.

الأسف كل الأسف أن معارضينا الذين يــستنــزلون عيــسى عليه السلام، لا يدركون أن المطلوب هو أن ينال الإسلام شرف المشابهة، لا أن يُهان بمجيء نبي إسرائيلي لإصلاح الأمة المسلمة.

إنه لمن السخافة التأكيد على فكرة تافهة لا أثر لها في كتاب الله. لقد طُلب من النبي الأكرم ﷺ، كما ورد في القــرآن الكــريم، أن يصعد إلى السماء، فرفض الله تعالى هذا الطلب قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ *. ألم يكن عيسى بشرا؟! فلِم رُفع إلى السماء دون أن يُطلَب منه ذلك؟ ثم لا يثبت من القرآن الكــريم إلا أن الله رفعه إليه، وهو أمر روحي ولا يثبت الرفع إلى الــسماء.

* *الإسراء: ٩٤*

وكان اعتراض اليهود أن الذي يُعلَّق على الخشبة لا يُرفَع إلى الله مثل الأنبياء الآخرين؛ وهذا الاعتراض نفسه كان جديرا بالدحض، فأين دحض القرآن الكريم هذا الاعتراض يا تُرى؟ إن أساس النـــزاع كله هو أن اليهود كانوا يقولون إن عيسى صُلِب، ومَن يصلَب لا يُرفع إلى الله، فلم يُرفع هو إلى الله تعالى رفعا روحانيا مثل بقية الأنبيـــاء، ونتيجةً لذلك فهو ليس مؤمنا وليس حائزا على النجاة. ولما كـــان المطلوب من القرآن أن يبتّ في النـــزاعات السابقة، فقد حكـــم أن عيسى أيضا رفِع مثل بقية الأنبياء. لقد كان من المفروض أن يحكم الله تعالى في ما اختُلِف فيه، وإن لم يكن الله قد حكـــم في تلـــك الآيات فأخبروني أين أصدر حكمه؟ هل يمكن أن يُنسَب سوء الفهم إلى الله تعالى؛ إذ يحاججُ اليهودُ حول الرفع الروحاني، فيردّ الله تعالى عليهم - كما ورد في حديث المعراج - بأن عيـــسى موجـــود في السماء الثانية بجسده العنصري؟ ثم من البـــديهي أن الـــصعود إلى السماء بالجسد العنصري ليس شرطا للنجاة، وإنما الشرط هو الرفع الروحاني وحده.

فكان لا بد من البيان، بُغية الحكم في النـــزاع، بأن عيسى ليس ملعونا بل رُفع رفعًا روحانيا. كما أن ذكر الرفع بعـــد التـــوفي في القرآن يدل دلالة صريحة على أن هذا النوع من الرفع يحظى به كل

مؤمن بعد الموت. والاستنباط من "التوفي" أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماءِ حيًّا إنما هو تحريف في القرآن، كفعل اليهود. لقد استُخدمت كلمة التوفي في القرآن الكريم وفي الأحاديث دائمًا بمعنى قبض الروح، ولم تُستَخدَم في أي مكان للدلالة على أن شخصا رُفع إلى السماء حيّا بجسمه.

وبذلك لا بد من الاعتراف بحسب هذا المعنى أن موت عيسى لم يُذكر في القرآن الكريم قط، وأنه لن يموت أبدا، لأنه حيثما ورد لفظ التوفي في القرآن بحقِ عيسى عليه السلام لا بد من الاستنتاج منه أنه رُفع إلى السماء بجسده، فكيف تثبت وفاته؟

وإذا كان الإنسان يستطيع أن يعود إلى الدنيا ثانية، فلماذا أخجلَ الله تعالى عيسى أمام اليهود؟ فعندما أعلن كونه مسيحا، حاجّه اليهودُ وقالوا: لن نؤمن بصدقك، لأنه قد ورد في سفر النبي ملاخي◈ أنه عندما يأتي ذلك المسيح الصادق الموعود بمجيئه، لا بد أن يعود قبله إيليا إلى الدنيا، ولما كان إيليا لم يعد إلى الدنيا بعدُ، فلن نؤمن بصدقك؛ فرد عليهم عيسى عليه السلام قائلا ما مفاده: إن إيليا المنتظر إنما هو يوحنا❋، الذي يعرفه المسلمون باسم يحيى. فسخط

◈ ملاخي:٤: ٥ (المترجم)

❋ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. (متى١١: ١٤) (المترجم)

اليهود على هذا الجواب كثيرا وقالوا إنك مفتر كذاب. ولا يزالون يكذبون عيسى في كتبهم، التي بعضها موجود عندي أيضا، وقد كتب أحدهم: لو سألَنا اللهُ تعالى يوم القيامة لماذا لم تؤمنوا به، لوضعنا أمامه كتابَ النبي ملاخي وقلنا: يا ربنا، ما دمتَ قد قلت بكلمات صريحة إنه ما لم ينزل إيليا إلى الدنيا مرة ثانية، لن يُبعث المسيح الصادق الذي وُعد بنو إسرائيل بمجيئه، وما دام إيليا لم ينزل إلى الدنيا ثانية فما آمنا بهذا المدعي. و لم يُقلْ لنا إنه ما لم يأت مثيل إيليا لن يأتي مسيح صادق، بل قيل إنه لا بد من مجيء إيليا الحقيقي مرة ثانية قبل مجيء مسيح صادق، وهذا لم يتحقق.

ثم إن ذلك الكاتب اليهودي، الذي كتابه عندي، يفتخر بحجته هذه كثيرا، ويسأل الناس فيما إذا كان ممكنا لأحد أن يؤمن بمثل هذا المفتري الذي يلجأ إلى التأويلات، ويحوِّل أستاذه إيليا إلى يوحنا؟ ثم يثور هذا الكاتب اليهودي كثيرا، ويذكر المسيح بكلمات التحقير والازدراء التي لا نستطيع نقلها هنا. ولو لم ينزل القرآن الكريم لكان اليهودُ محقين في الظاهر في حجتهم هذه، لأنه لم يرد في صحيفة النبي ملاخي أن مثيل إيليا سيأتي قبل المسيح الصادق، بل ورد بكل وضوح أنه لا بد من مجيء إيليا نفسه قبل المسيح الصادق، وفي هذه الحالة لا تثبت حتى نبوة المسيح، فضلا عن ألوهيته التي

يبذل المسيحيون كل جهدهم لإثباتها. ويبدو أن الحق في هذه الحالة مع اليهود. فمِن منَّة القرآن الكريم على المسيحيين أنه أثبت صدق المسيح عليه السلام.

هنا يفرض سؤال نفسه؛ وهو أنه ما دام قد ورد في صحيفة النبي ملاخي بكلمات واضحة أنه ما لم يأت النبي إيليا إلى الدنيا مرة ثانية فلن يأتي المسيح الصادق الذي وُعد بنو إسرائيل بمجيئه، فما هو خطأ اليهود إذ لم يقبلوا المسيح وكفّروه وقالوا إنه مرتد وملحد؟ ألا يكفي لإثبات سلامة نِيّاتهم أنهم عملوا بحسب نص كتاب الله؟ فلو ورد في كتاب النبي ملاخي أن مثيل إيليا سيأتي ثانية لكان اليهود مجرمين، لكنه لم يكن مسموحا في هذه الحالة أن يُعتبَر النبي يحيى مثيلا لإيليا.

والجواب على هذا السؤال هو أن اليهود كانوا يعرفون جيدا أنه ليس من سنة الله أن يعود أحد إلى الدنيا مرة ثانية، ولم يسبق لمثل هذه العودة نظير من قبل، وعلى هذا فإن هذا الكلام لم يكن إلا على سبيل الاستعارة والمجاز. ولقد سبق أن استُخدِمت مئات الاستعارات في كتب الله، واليهودُ لم يجهلوا مثل هذه الاستعارات. وبالإضافة إلى ذلك فقد نزلت مع عيسى عليه السلام تأييدات كثيرة أيضا بحيث لم يكن متعذرا على اليهود ذوي الفراسة أن يعرفوا صدقه

ويؤمنوا به. ولكنهم ظلوا يزدادون شرا وفتنة يوما بعد يوم. وكانوا قد عرفوا حتما في شخص عيسى عليه السلام نورا يأتي مع الصادقين، ولكنهم لم يتخلوا عن التعصب واللؤم والشر. وليكن معلوما أن هذا السؤال ينشأ في اليهود الذين واجهوا الابتلاء في بداية الأمر، ولكن لو اتقى المسلمون ربهم، فإن القرآن قد أنقذهم من قبلُ من الابتلاء، لأنه كان قد أعلن بكلمات واضحة أن عيسى قد مات، وليس ذلك فحسب بل وضح لهم الأمر بصراحة تامة أنه لن يعود إلى الدنيا ثانية. وقد ورد في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ۞ فإذا كان صحيحا أن عيسى عليه السلام سيأتي إلى الدنيا مرة ثانية قبل يوم القيامة ويمكث فيها أربعين عاما ويكسر الصليب ويحارب المسيحيين، فكيف يمكنه أن يقول لله تعالى يوم القيامة: فَلَمَّا

۞ *المائدة: ١١٧ - ١١٨*

تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، ولا أدري أي سبيل سلكوا؟ ولو أجاب بالقول: إنني لا أعلم عنهم شيئا، لما كان أحدٌ أكذبَ منه في الدنيا، لأنه ما من أحد أكثر كذبا من الذي يعلم أنه جاء إلى الدنيا ثانية ووجد النصارى يؤلِّهونه ويعبدونه فحاربهم، ثم ينكر كل ذلك أمام الله ويقول: أنا لا أعرف شيئا عما فعلوه بعدي. بل كانت الإجابة الصحيحة أن يقول: نعم يا ربّ، أنا أعرف ضلال النصارى جيدا لأني عدتُ إلى الدنيا ومكثت هناك أربعين عاما وكسرت الصليب فلا ذنب عليّ، إذ صرتُ عدوا لهم حين علمت أنهم مشركون. بل الحق أنه إذا كان عيسى عليه السلام قد مكث في الأرض أربعين عاما قبل القيامة، وكان قد عاقب الذين ألّهوه، فإن طرح الله عليه هذا السؤال يصبح لغوا تلقائيا، لأنه يُستبعَد من حكمة الله أن يطرح مثل هذا السؤال إذا كان في علمه تعالى أن عيسى قد عاقب عقابا شديدا هؤلاء الناس حين علم أنهم اتخذوه إلها.

لقد صرّح الله تعالى للمسلمين أن عيسى قد مات ولن يعود إلى الدنيا ثانية بل سيأتي مثيله، ولو كان مثل هذا التصريح قد ورد في صحيفة النبي ملاخي لما هلك اليهود. فلا شك أن الذين ينتظرون عودة عيسى عليه السلام مع وجود كل هذه التصريحات في كلام الله تعالى هم أسوأ من اليهود دون أدنى شك.

ويخادع المشايخ المعارضون لنا بقولهم إن رجوع عيسى إلى الدنيا ثانية لا يثبت من القرآن الكريم، بل هو ثابت من الأحاديث.

لكن أين ورد في الأحاديث أن النبي الإسرائيلي نفسه - الذي كان اسمه عيسى، ونزل عليه الإنجيل- سيرجع إلى الدنيا مرة ثانية مع كون النبي ﷺ خاتَم الأنبياء؟ فإذا كنتم تنخدعون من اسم عيسى أو ابن مريم، فاعلموا أن بعضا من أفراد الأمة قد سُمُّوا بعيسى وابن مريم في آخِرِ سورة التحريم؛ لأن الله تعالى حين شبّه بعض أفراد الأمة بمريم، ثم ذكر نفخ الروح فيهم، تبيّن جليا أن الروح التي نُفِخت في مريم كانت متمثلة في عيسى. وهذه إشارة إلى أن فردا من الأمة سيصير مريم أولا بسبب تقواه الموهوبة من الله تعالى، ثم يصبح عيسى؛ كما سماني الله تعالى مريم أولا في كتاب "البراهين الأحمدية"، ثم ذكر نفخ الروح، ثم سماني عيسى أخيرا.

ولقد ورد في الأحاديث بصورة جلية أن النبي ﷺ رأى عيسى عليه السلام ليلة المعراج في أرواح الميِّتين. لقد وصل ﷺ إلى العرش ولكنه لم ير شخصا باسم عيسى في مكان منفصل بعيدا عن الأرواح، بل كلُّ ما رآه كان روحا مع يحيى المتوفَّى. وواضح أنه لا مكان للأحياء بين الأموات.

فحاصل الكلام أن الله تعالى قد شهد على وفاة عيسى عليه السلام بقوله، وشهد النبي ﷺ على ذلك فعليًّا، أي برؤيته ليلة المعراج. ومَن لم يفهم الموضوع بعد كل هذا الإيضاح، فالله حسيبه.

يعلم المسلمون بشكل أفضل من اليهود أنه ليس من عادة الله أن يرسل الناس إلى الدنيا ثانيةً، وإلا فنحن أحوج إلى عودة سيدنا محمد المصطفى ﷺ من عودة عيسى عليه السلام، وفي ذلك تكمن سعادتنا الكبرى. ولكن الله تعالى حرمنا من هذا الأمل بقوله له: ﴿إنك ميِّت﴾. وجدير بالتفكير أيضا أنه إذا كان باب العودة إلى الدنيا مرة ثانية مفتوحا، فلماذا لم يرسل الله تعالى النبي إيليا إليها لبضعة أيام على الأقل؟ وقد صار ألوف من اليهود حطب جهنم. ثم أصدر المسيح عليه السلام نفسه قراره: أن المراد من مجيئه الثاني مجيء مثيله، وهذا القرار - كما ذكرنا- مسجل في الأناجيل إلى الآن. ولو حُسم الأمرُ مرة، وثبت أن هذا الطريق محفوف بالأخطار، لما سلكه العاقلون؛ ما الذي نفع اليهودَ إصرارُهم على عقيدة عودة النبي إيليا نفسه إلى الدنيا غيرَ الكفرِ والخزي، حتى يترقب المسلمون في هذا العصر فائدة من إصرارهم على عودة المسيح بنفسه ثانية؟

لماذا يُدخل الناس أيديهم في جُحر لُدغت منه طائفة كبيرة وهلكوا؟ ألا يذكرون الحديث: "لا يُلدَغ المؤمن من جُحر واحد

مرتين"؟ يتبين من تصرفهم هذا أنهم قد نسوا الموت. لِمَ لا يتـــدبر الذين يقرؤون في صلواتهم الخمس آية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّيْن﴾ في معانيها؟ ولماذا لا يفكرون أن الصحابة أيضا، ظنوا حين وفاة النبي ﷺ أنه سيعود إلى الدنيا مرة ثانية، ولكن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسل﴾ *، ودحض هذه الفكرة كليا، وبيَّن معانيها أنه ما من نبي إلا وقد مـــاتَ؛ وإذا مات النبي ﷺ أيضا فلا مجال للاعتراض، لأن الموت قاسم مـــشترك بين الأنبياء كلهم.

من الواضح جليا أنه لو كان الصحابة يظنون أن عيـــسى عليه السلام موجود في السماء حيا منذ ٦٠٠ عام، لطرحوا الفكرة أمام أبي بكر رضي الله عنه، ولكن الجميع اعترف في ذلك اليوم أن جميع الأنبياء قد مـــاتوا من قبل. وإن كان في ذهن أحدهم فكرة حياة عيسى لنبذها كمـــا يُنبَذ الشيء الرديء. أقول هذا لأنه من الممكن أن يكـــون هنـــاك شخص غبي ذو دراية غير سليمة يكنُّ في قلبه - متـــأثرا بالديانـــة المسيحية - فكرة أن عيسى ما زال حيا في السماء. ولكـــن ممـــا لا شك فيه أن جميع الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا بعد وعظ "الصِّدّيق" أن جميع الأنبياء قبل النبي ﷺ قد ماتوا. وكان ذلك أول إجماع أجمع عليـــه

---

* *آل عمران: ١٤٥*

الصحابة أجمعون. وأنّى لأصحاب النبي ﷺ الذين كانوا فانين في حبه ﷺ أن يقبلوا أن نبيهم لم يبلغ من العمر ٦٤ حتى عاما مع أنه سيد الأنبياء، بينما عيسى حيٌّ في السماء منذ ٦٠٠ عام؟ كلا! ثم كلا! لا يمكن لمن يحب النبي ﷺ أن يفتي بفتوى تقول بأفضلية عيسى بوجه خاص، ألا لعنة الله على اعتقاد يستلزم إهانة النبي ﷺ. إنهم كانوا عشاق الرسول ﷺ، وكانوا يفضّلون أن تزهق أرواحهم على أن يسمعوا أن رسولهم الحبيب قد مات، وعيسى حيٌّ في السماء. إن ذلك النبي ﷺ لم يكن الأحب إليهم فقط بل كان الأحب إلى الله تعالى أيضا من جميع الأنبياء، ولذلك فعندما لم يؤمن به المسيحيون وأطرَوا عيسى حتى جعلوه إلهًا، اقتضت غيرة الله أن يخلق خادما، أي أنا العبد المتواضع، من خدام محمد ﷺ ويجعله مثيلا لعيسى. ولقد أعطى اللهُ سبحانه وتعالى هذا الخادم نصيبا من فضله ونعمته، أوفر مما أعطاه لكي يعلم النصارى أن الفضل كله بيد الله.

إذن، كان من أهداف بعثة مثيل عيسى بن مريم تحطيم ألوهية المسيح. إن صعود الإنسان إلى السماء واستقراره هناك بجسده العنصري ينافي سنة الله تعالى منافاةَ استقرار الملائكة في الأرض متجسدين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ *.

* *الفتح: ٢٤*

ألا يفكر قوم فاران هذا، أنه حين علّق عيسى عليه السلام على الصليب كانت مهمة تبليغه غير مكتملة، وكانت عشرة قبائل من اليهود مشتّتة في بلاد أخرى، ولم يسمعوا حتى باسمه، فهل تبادرت في هذه الحالة إلى ذهنه فكرة أن يترك مهمته ناقصة ويستقر في السماء؟

والأغرب من ذلك أن عيسى قد ذُكر في كتب التراث الإسلامي بالنبي السيّاح، ولكنه لم يمكث في قريته إلا ثلاثة أعوام ونصف العام، ثم صعد إلى السماء كما يزعمون.

لقد اتخذ الناس عيسى عليه السلام إلهًا لمجرد قصص واهية، فما بالك لو أظهر معجزة نزوله من السماء مع الملائكة؟

اعلموا أن الذي كان نازلا، قد نزل في الوقت المناسب تماما، وها قد تحقق اليوم كل ما كان مكتوبا في الصحف. إن كتب جميع الأنبياء تشير إلى هذا الزمن. ويعتقد المسيحيون أيضا أنه كان من المحتوم أن يأتي المسيح الموعود في هذا العصر؛ فقد ورد في كتبهم بصراحة تامة أن المسيح الموعود سيأتي في نهاية الألف السادس بعد آدم، فها قد انتهى الألف السادس. وكان مكتوبا أيضا أن مجيئه يُسبق بطلوع مذنَّب، فها قد طلع قبل مدة من الزمان. وكان مكتوبا أيضا أن الشمس والقمر سينكسفان في أيام بعثته في شهر واحد، شهر رمضان، وها قد تحققت هذه النبوءة أيضا قبل أمد بعيد. وقد

ورد أن طاعونا شديدا سيتفشى في زمنه، وقد ورد هـــذا الخـــبر في الإنجيل أيضا، وأرى أن الطاعون لم يترك البلاد إلى الآن. وقـــد ورد في القرآن الكريم والأحاديث والكتب السابقة أيضا أنه ســـتظهر في زمن بعثته مركبة جديدة تستخدم النار، وتُعطّلُ العـــشار، والجـــزء الأخير من هذا الحديث مذكور في صحيح مسلم. والمركبة المذكورة هي القطار الذي اختُرع حديثا. وقد ورد أن المسيح الموعود سيأتي على رأس القرن*، وها قد مضى من القرن ٢١ عاما. ومَن ينكرني الآن بعد ظهور كل هذه الآيات، فإنه لا ينكرني أنا، بل ينكر جميع الأنبياء، ويحارب الله تعالى، ولو لم يُولَد لكان خيرًا له.

تذكروا جيدا أن السبب الوحيد وراء الفساد والـــدمار اللـــذينِ ظهرا بين المسلمين، حتى ارتد وتنصّر مليونان وستمائة ألفٍ منهم في بلاد الهند وحدها، هو أن المسلمين علّقوا بعيسى عليه السلام آمالا غـــير حقيقية ومبالَغا فيها، وجعلوا له خصوصية في كل صفة، فـــاقتربوا بذلك من المسيحيين في معتقداتهم، فنسبوا الصفات البشرية إلى النبي الأكرم ﷺ ولئن نُسبت الصفات نفسها إلى عيسى عليه السلام في كتـــب التاريخ لاستنكروها كليا؛ فمن المعلوم مثلا أن النبي ﷺ كان يمرض وكان يصاب بالحمى أيضا وكان يتداوى ويستخدم الحجامة أيضا،

* *أي القرن الرابع عشر. (المترجم)*

ولكن لو ورد مثل هذا الكلام في عيسى، وقيل إنه أصيب بالحمى أو بمرض آخر وجيء به إلى طبيب، لثارت حفيظتهم بغتة، وقالوا من المستحيل أن يُنسب ذلك إلى المسيح، مع أنه لم يكن إلا بشرا متواضعا، وكان قد نال نصيبا كاملا من الضعف البشري. كان له أربعة من الأشِقّاء، وخالفه بعضهم، وله شقيقتان أيضا، وكان إنسانا ضعيفا، إذ أغمي عليه بمجرد دق مسمارَينِ في جسده حين عُلِّق على الصليب. يا أسفاه! ليت المسلمين عملوا بما قاله القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام فاعتبروه من الأموات واعتقدوا باستحالة مجيئه الثاني. فلو فعلوا ذلك لما تعرض الإسلام لما آلت إليه حالته من الدمار والفساد، ولطويت صفحة المسيحية في وقت قريب. نحمد الله تعالى على أنه قد أخذ الآن بيد الإسلام.

فهذا ما تحدثتُ به مع الصاحبزاده المولوي عبد اللطيف المحترم، ووضَّحتُ له في النهاية أن عيسى عليه السلام كان يمتاز بست عشرة ميزة من الناحية الدينية:

(١) كان نبيا موعودا لبني إسرائيل كما تشهد عليه صحائف أنبياء بني إسرائيل.

(٢) لقد جاء حين كان اليهود قد فقدوا مُلكهم، أي لم يعُد لليهود في تلك البلاد مُلكٌ، مع إمكانية استتباب أمر حكومتهم في

بلاد أخرى قد هاجر إليها بعض فِرقهم؛ إذ يقال إن الأفغان وأهل كشمير أيضا من اليهود. وإن ارتقاءهم إلى قائمة السلاطين بعد إسلامهم أمر لا يمكن إنكاره. على أية حال، كان حكم اليهود في تلك المنطقة من البلاد قد انتهى عند ظهور المسيح عليه السلام، وكانوا يعيشون تحت السلطنة الرومية التي كانت تشبه كثيرا السلطنة البريطانية.

(٣) لقد بُعث المسيح حين كان اليهود قد افترقوا إلى فِرق كثيرة وكل فرقة تخالف الأخرى، ونشأ فيما بينهم عناد وخصومات كبيرة لدرجة عرَّضت معظم أحكام التوراة للشبهات من كثرة اختلافهم. كانوا متفقين في وحدانية الله تعالى، أما في المسائل الجزئية الأخرى فكان بعضهم يعادي بعضا أشد العداوة. ولم يكن بوسع واعظ من الوعّاظ أن يصلح شأنهم أو يحكم بينهم. فكانوا في هذه الحالة أحوج إلى حَكَم سماوي يُشرَّف بوحي متجدد من الله تعالى ويعِين أهل الحق. وشاء القدر أن يتطرق الضلال إلى جميع فِرقهم، بحيث لم تعد حتى واحدة منها جديرة لتُعدَّ من أهل الحق الصُراح، بل تطرق إلى كل فرقة شيء من الكذب والإفراط أو التفريط، ولهذا السبب، فإن فِرق اليهود كافةً، اتخذت المسيحَ عدوا، حتى راحوا يكيدون لقتله أيضًا؛ فكل فرقة كانت تبغي أن يؤيدها المسيحُ تأييدا كاملا ويعتبرها

على الصدق والسداد، ويعتبر مخالفيها كاذبين، ولكن ما كانت لتصدر مثل هذه المداهنة من نبي الله.

(٤) لم يؤمَر المسيح بن مريم بالجهاد. وسبق أن شوِّهت سمعةُ دين موسى كثيرا عند اليونان والرومان بأنه قد أعمل السيف من أجل انتشاره، وإن كان ذلك بناء على بعض الأعذار. ولا تزال الاعتراضات إلى يومنا توجَّه إلى دين موسى أنه قد قُتل مئات الآلاف من الرضع بأمره وبأمر خليفته "يوشع ". والحروب التي خاضها داود وغيره من الأنبياء، أضافت إلى هذه الاعتراضات قوة؛ فالفطرة البشرية لم تقدر على تحمّل هذا الحكم القاسي. وعندما وصلت أفكار أهل الأديان الأخرى قِمَّتها، أراد الله تعالى أن يبعث نبيا ينشر دين الصلح والأمن والوئام ويُبعد من التوراةِ نقدًا وجَّهته إليها أمم أخرى. وإن عيسى بن مريم كان هو نبي السلام.

(٥) إن تصرفات علماء اليهود في زمن عيسى عليه السلام كانت قد ساءت كثيرا، وما كان هناك أي اقتران بين قولهم وفعلهم، وكان صيامهم رياء محضا. وإن هؤلاء العلماء الباحثين عن السلطة الدنيوية كانوا قد صاروا مثل ديدان الأرض تحت ظل حكومة الروم، وتمركزت جميع عزائمهم على أن يكسبوا الدنيا، سواءً بالمكائد أو الخيانة أو الخديعة أو شهادة الزور أو الفتاوى الزائفة. لم يبق فيهم

من الروحانية شيء سوى ألبسة الزُّهّاد والجلابيب. وكانوا يتحرّون العزة عند الحكام في سلطنة الروم، فنالوا منها نزرا يسيرا منه بسبب المكائد والمداهنة والمجاملة الكاذبة. وبما أنه لم يبق فيهم إلا حب الدنيا؛ فقد غضّوا الطرف تماما عن العزة التي كان بإمكانهم أن ينالوها من السماء بالعمل بالتوراة، وصاروا ديدان الأرض، ورأوا الشرف والعزة كلها في الجاه الدنيوي. ويبدو أن حاكم البلد الموظف من قبل سلطنة الروم كان تحت ضغطهم إلى حد ما، لأن كبار رهباهم من عبدة الدنيا كانوا يسافرون من مناطق نائية لمقابلة القيصر الرومي، وكانوا قد أنشأوا علاقة جيدة مع السلطنة، وكثير منهم كانوا يرتزقون على المِنح الحكومية. وبناء على ذلك كانوا يظهرون أهم من الناصحين المخلصين للسلطنة؛ فقد كانوا تحت المراقبة من ناحية، ومن الناحية الأخرى كانوا عند حسن ظن قيصر وكبار الحكام في السلطنة بسبب مداهنتهم. وبسبب جرأهم هذه كان العلماء منهم يُعتبرون أشرافا في نظر حكام السلطنة، ويُعطَون كرسيا *(في الدوائر الحكومية)*. ولكن ذلك المسكين الذي كان اسمه عيسى بن مريم - الساكن في الجليل- تلقى أذى كثيرا على يد هؤلاء الأشرار. ولم يقتصر الأمر على البصاق في وجهه، بل ضُرب أيضا بالسوط بأمر من الحاكم، وزُجَّ به في السجن مع اللصوص

وغيرهم من المجرمين مع أنه لم يرتكب أي خطأٍ، وإنما فُعِل به ذلك مراعاة لليهود فقط، لأن مراعاة الحزب الأكثر عددا كان من سياسة الحكومة، لذا لم يكن لأحد أن يهتم بذلك المسكين. فبناء على قرار المحكمة سُلِّم "عيسى عليه السلام" إلى اليهود في نهاية المطاف، فعلَّقوه على الصليب. والله ربّ الأرض والسماء، يلعن محكمة كهذه. والأسف كل الأسف على الحكومات التي لا تنظر إلى رب السماء. إن بيلاطوس - الحاكم ظاهرًا في البلاد - وزوجته، كانا مريدينِ لعيسى، وكان يود أن يفرج عنه، ولكن حين هدده كبار علماء اليهود الحائزين على مراتب الشرف لدى قيصر وقالوا: لو لم تعاقبه، لاشتكينا ضدك لدى قيصر، خافهم لجبنه ولم يقدر على التشبّث بموقفه. لقد أخذه هذا الخوف لأن بعض كبار علماء اليهود كانوا مُكرَمين لدى قيصر، وكانوا يشون بعيسى عليه السلام خُفية على أنه مفسد ويعادي الحكومة سرًّا، ويريد أن يشكِّل تجمعًا ليهاجم قيصرَ. فبسبب هذه المشاكل الظاهرية لم تكن لهذا الإنسان المسكين والبسيط علاقة جيدة مع قيصر وحاشيته، ولم يكن على معرفة بهم مثل هؤلاء المرائين وعبدة الدنيا، بل كان يتوكل على الله وحده. أما معظم علماء اليهود فتغلغلوا في السلطنة لحبهم الدنيا ومكائدهم ومداهنتهم، وما كانوا للسلطنة من الناصحين. ولكن يبدو أن

السلطنة انخدعت وحسبتهم لها من الناصحين. وهكذا فقد أُهين "نبي الله" البريءُ، من أجلهم. ولكن هؤلاء الأشرار ما كانوا خافين عن عين الذي يرى من السماء وهو مالك القلوب. على أية حال كانت النتيجة أن عُلِّق عيسى عليه السلام على الصليب ولكن الله تعالى قد أنقذه من الموت عليه، واستجاب دعاءه الذي دعا به في البستان بكل كرب. وقد ورد أن المسيح حين أيقن أن اليهود عطاشى لدمه ولن يخلوا سبيله، ذهب إلى البستان ليلا وبكى بكاءً مُرًّا ودعا الله تعالى ما مفاده: أَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ فكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ. ولقد وردت العبارة التالية في الإنجيل في هذا الصدد: "فبكى بدموع جارية وعبرات متحدرة فسمع لتقواه"* وبفضله الخاص، هيأ الله تعالى أسبابا: فأُنزل عن الصليب، ووُضع في القبر، وخرج من القبر متنكرا بلباس بستانيّ، ثم سافر مع أمه إلى بلد آخر بأمر من الله تعالى كما يقول تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ✪. وورد في الأحاديث أن عيسى بن مريم عاش بعد هذا الحادث إلى مئة وعشرين عاما، ثم مات ولحق بربه، وكان جليس يحيى عليه السلام في عالَمٍ آخر لوجود الشبه بين حادثَين تعرض لهما النبي عيسى ويحيى عليهما

---

* *انظر رسالة الرسول بولس إلى العبرانيين ٥: ٧. (المترجم)*

✪ *المؤمنون: ٥١*

السلام. لا شك أنه كان عبدا صالحا ونبيا، ولكن اتخاذه إلها كفرٌ. لقد خلا في الدنيا مئات الآلاف من أمثاله وسيوجدون في المستقبل أيضا، و لم ولن يمتنع الله تعالى عن اصطفاء العباد أبدا.

(٦) الميزة السادسة هي أن عيسى عليه السلام بُعث في أثناء حكم قيصر الروم.

(٧) الميزة السابعة هي أن سلطنة الروم كانت تعادي الدين المسيحي، ولكن كانت النتيجة النهائية أن تغَلْغَل الدين المسيحي في قوم قيصر، حتى أنّ القيصر نفسه قد تنصّر بعد فترة.

(٨) الميزة الثامنة أن مذنَّبًا قد ظهر في زمن يسوع الذي يعرفه المسلمون باسم عيسى عليه السلام.

(٩) الميزة التاسعة أنه حين علِّق على الصليب كسفت الشمس.

(١٠) الميزة العاشرة أنّ طاعونا جارفا تفشّى في اليهود بعد أن آذوه.

(١١) الميزة الحادية عشرة أنّ قضيةً رُفعت ضده بسبب التعصب الديني، وقيل إنه يعادي سلطنة الروم وإنه متمرد عليها.

(١٢) الميزة الثانية عشرة أنه حين علِّق على الصليب علِّق معه لصٌّ أيضا.

(١٣) الميزة الثالثة عشرة أنه حين قدِّم أمام بيلاطوس لينال عقوبة الموت قال بيلاطوس: لا أراه ارتكب جريمةً.

(١٤) الميزة الرابعة عشرة أنه لم يكن من بني إسرائيل لكونه بلا أب، ولكنه كان النبي الأخير في سلسلة أنبيائهم، وقد ظهر في القرن الرابع عشر بعد موسى.

(١٥) الميزة الخامسة عشرة أنه قد تيسّرت في عهد القيصر المعاصر ليسوع بن مريم أشياء كثيرة لرفاهية الرعية ويُسرها في السَّفَر والحضر، ورُصفت الشوارعُ ووُضعت قواعد جديدة للمحاكم وكانت شبيهة بالمحاكم البريطانية.

(١٦) الميزة السادسة عشرة للمسيح هي أنه يشبه آدم لولادته دون أب.

تلك ست عشرة ميزة أعطِيَتْ لعيسى الذي كان آخر سلسلة موسى، ثم حين أهلك الله تعالى سلسلة موسى وبدأ بالسلسلة المحمدية كما وُعد في صحائف الأنبياء، أراد الله الحكيم العليم أن يضع مشابهة تامة بين أول وآخر هاتين السلسلتين؛ فبعث سيدنا محمدا رسول الله ﷺ أولا وجعله مثيلا لموسى كما يتبين من الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ

رَسُولا﴾ *. لقد رفع موسى السيف ضد الكفار، وكذلك رفع رسول الله السيف لحماية المسلمين بعدما أُخرِجوا من مكة وتمت ملاحقتهم. ولقد أُغرِق أمام عينَي موسى، عدوُه اللدودُ فرعونُ، كذلك أُهلك أمام عينَي رسول الله ﷺ، عدوُّه اللدود أبو جهل. وهناك أوجهٌ كثيرةٌ أخرى للشبه أترك ذكرها خوف الإطالة.

هذه هي أوجه الشبه في بداية السلسلتين، وكان ضروريا أن تكون هناك مشابهة بين الخليفة في نهاية السلسلة المحمدية والخليفة في نهاية السلسلة الموسوية ليصح قول الله تعالى بوجود الشبه بين السلسلة المحمدية والسلسلة الموسوية من حيث الإمام والخلفاء. ولا شك في أن التركيز يكون على الشبه في البداية والنهاية إذ لا يمكن التركيز على الشبه في الفترة الوسطى لكونها طويلة الأمد. وأوجه الشبه الموجودة في البداية والنهاية تدل على أنه لا بد من وجودها في الفترة الوسطى أيضا، وإن كان العقل عاجزا عن فحصها واستيعابها بدقة.

ولقد كتبنا قبل قليل أن عيسى عليه السلام كان يتحلى بست عشرة ميزة من الناحية الدينية، وكان وجودها ضروريا في الخليفة الأخير في الإسلام حتى يتحقق الشبة التام بينه وبين عيسى عليه السلام. ففي الميزة

---

* *المزمل:* ١٦

الأولى- أي كونه الموعود- نجد أنه قد خلا في الإسلام ألوف من الصالحين وأولياء الله ولكن لم يكن أحد منهم موعودا، أما الذي قُدِّر له أن يأتي باسم المسيح فقد كان هو الموعود الوحيد. كذلك ما كان أحد من الأنبياء موعودا قبل عيسى بل كان هو الموعود الوحيد. وفي الميزة الثانية -أي انقراض السلطنة - فأي شك في أنه كما أن السلطنة الإسرائيلية كانت قد انقرضت من تلك البلاد قبل ولادة عيسى بفترة وجيزة، كذلك كانت السلطنة الإسلامية قد انقرضت من بلاد الهند قبل ولادة المسيح الأخير بسبب سوء التصرفات.

والميزة الثالثة التي تحلى بها المسيح الأول هي أن اليهود في زمنه كانوا قد تفرّقوا إلى عدة فِرق، وكانوا بطبيعة الحال بحاجة إلى حَكَمٍ ليحكم بينهم، وكذلك تفرق المسلمون أيضا إلى عدة فِرق في زمن المسيح الأخير.

والميزة الرابعة في المسيح الأول أنه لم يكن مأمورا بشنِّ الجهاد بالسيف، كذلك المسيح الأخير أيضًا، ليس مأمورا بالجهاد بالسيف. وكيف يمكن أن يكون مأمورا به وتقلّبات الزمن قد بيَّنت أن القلوب لا تطمئن بالسيف، ولا يرفع شخص متحضر سيفا للشؤون الدينية. وإن واقع العصر الراهن يشهد بنفسه على أن فِرق المسلمين

التي تنتظر مهديا سفاكا أو مسيحا دمويا مخطئون كلهم، وأن أفكارهم تتعارض مع مشيئة الله ﷻ، لأنه لو كانت مشيئة الله أن يقاتل المسلمون من أجل الدين لكانوا متفوقين على غيرهم في شؤون الحروب الحديثة، ولاخترعوا المدافع والبندقيات الحديثة ولجُعِلوا متفوقين في كل نوع من فنون الحرب وكانوا هم مكتشفو الآلات الحربية الأخرى مثل الغواصات وغيرها ليستخدموها في الحروب المستقبلية، ولتركوا الدنيا في حيرة ما بعدها حيرة، ولكن الأمر ليس هكذا، بل النصارى هم الذين يتقدمون في هذه الأشياء يوما فيوما؛ فالبديهي من ذلك أن الله لم يشأ أن ينتشر الإسلام بالحروب. نعم إن النصارى يضعفون يوما بعد يوم من حيث الأدلة والبراهين، والباحثون والمحققون الكبار يهجرون عقيدة التثليث؛ حتى إن ملك ألمانيا أيضا أشار إلى ترك هذه الديانة، فيتبين من هذا أن الله تعالى يريد أن يمحو عقيدة التثليث المسيحية عن وجه المعمورة بواسطة الأدلة والبراهين فقط.

تقول القاعدة الكلية بأن النشيط تبدو آثار نشاطه منذ البداية، ولكن لم تظهر من السماء أي علامة لانتصار المسلمين في الحروب. غير أنه قد ظهرت فيهم بوادر الأدلة الدينية، وبدأت الديانة المسيحية تذوب تلقائيا وتكاد تختفي من وجه البسيطة قريبا.

والميزة الخامسة التي وُجدت في زمن المسيح الأول هي أن أخلاق اليهود كانت قد فسدت، وخاصةً في الذين كانوا يُدعَون علماءهم؛ فقد صاروا خدّاعين كبارًا وعَبَدَة الدنيا، وتألبوا على أطماعها وغرقوا في بحر الحرص بُغية الجاه الدنيوي. وهذا ما آلت إليه حالة عامة الناس ومعظم علماء الإسلام في زمن المسيح الأخير، ولا حاجة للخوض في التفاصيل.

والميزة السادسة هي أن المسيح عليه السلام قد بُعث في حكم قيصر الروم، وهذه الصفة أيضا مشتركةٌ مع المسيحِ الأخير؛ إذ بُعثت أنا كذلك في حكم قيصر، بيد أن هذا القيصر أفضل من القيصر الذي كان في زمن المسيح عليه السلام؛ لأنه قد ورد في التاريخ أنه حين علم قيصر الروم أن الحاكم بيلاطوس قد أنقذ المسيح من الموت على الصليب بحيلة، وأفسح له المجال للفرار إلى مكان آخر متنكرا، استشاط غضبًا. والثابت أن علماء اليهود وشَوْا إليه أن بيلاطوس ساعد على فرار شخصٍ متمردٍ على قيصر؛ فزُج ببيلاطوس في السجن فورا بأمر منه إثر هذا الوشي. وكانت النتيجة الأخيرة أن قُطع رأسه في السجن نفسه، وهكذا استُشهد بيلاطوس في حب المسيح عليه السلام.

يتبين من ذلك أن الحكام وأهل السلطة يُحرمون من الــدين في معظم الأحيان. إن القيصر الغبي قد أولى علماء اليهــود اهتمامــه وأكرمهم وعمل بأقوالهم واعتبر قتل المسيح في مــصلحة الدولــة، ولكنني أرى أن الوقت قد تغير الآن كثيرا؛ فقيصرُ زمننا أفضل مرتبةً من ذلك القيصر الغبي والظالم إلى تلك الدرجة.

وفي الصفة السابعة نرى أن الديانة المسيحية تغلغلــت في نهايــة المطاف في قوم قيصر، ويشاركُ المسيحُ الأخير في هذه الصفة أيضا، لأنني أرى أن دعواي وأدلتي تؤخذ مأخذ الرغبة والجِدِّيّة الكــبيرتينِ في أوروبا وأمريكا، ونشَر أهل تلك البلاد دعواي وأدلتي في مئــات من جرائدهم من تلقاء أنفسهم، وكتبــوا في تــصديقي وتأييــدي كلمات يتعذر صدورها من قلمِ مسيحيٍ، حتى أن بعضهم كتــب بكلمات صريحة أن هذا الشخص يبدو صادقا. وكتــب بعــضهم الآخر أن تأليه يسوع خطأ كبير. كما كتب آخرون منهم أن إعلان المسيح الموعود جاء في وقت مناسب تماما، والوقت في حد ذاته دليل على ذلك. فيتبين من تصريحاتهم هذه أنهم في استعداد لقبول دعواي، وأن الديانة المسيحية في تلك البلاد، لا تزال تذوب تلقائيــا مثــل الثلج، يوما فيوما.

والعلامة الثامنة للمسيح كانت أن نجمًا عظيمًا قد طلع في عهده، ففي هذه العلامة أيضا اشتركتُ معه كوني المسيح الأخير، لأن المذنَّب الذي كان قد طلع في عهده قد ظهر ثانية في زمني أيضا، وهذا ما صدَّقتْه الجرائد الإنجليزية، وقد استُنبط من ذلك أن ظهور المسيح قريب.

والعلامة التاسعة للمسيح أنه حين علِّق على الصليب حدث كسوفٌ للشمس، وقد أشركني الله تعالى في هذا الأمر أيضا، لأنه حين كُذِّبتُ لم تكسف الشمس فحسب، بل خسف القمر أيضا في الشهر ذاته، شهر رمضان. وهذا الكسوف والخسوف لم يحدث مرة واحدة بل مرتين مِصداقًا للحديث الشريف. ولقد أُنبِئ عن هذين الخسوفين في الإنجيل والقرآن الكريم وفي كتب الأحاديث أيضا، كسنن الدارقطني.

والعلامة العاشرة هي أنه حين أوذِي المسيح تفشى في اليهود طاعون جارف، وقد تفشى الطاعون في زمني أيضا.

والعلامة الحادية عشرة للمسيح كانت أن علماء اليهود سعوا أن يُعتبر المسيح متمردا، فرُفعت قضيةٌ ضده، وبُذلت الجهود ليُدانَ بعقوبة الإعدام. وقد جعلني قدر الله تعالى شريكا في هذه العلامة أيضا، إذ رُفعت ضدي قضية زائفة بتهمةِ القتل، وحاولوا إلصاق

تهمة التمرّد بي؛ وهي تلك القضية نفسها التي جاء فيها المولوي أبو سعيد "محمد حسين البطالوي" للإدلاء بالشهادة ضدي جاعلا نفسه طرفًا في القضية.

والعلامة الثانية عشرة للمسيح كانت أن علِّق معه على الصليب لصٌّ. وقد أُشرِكتُ في هذه العلامة أيضا لأنه حين تم تقديمي إلى المحكمة بتهمة القتل، قُدِّم معي في اليوم نفسه، لصٌّ مسيحي من طائفة مقدسة عند المسيحيين المسماة بـ "جيش التحرير"، وكان قد سرق بعض النقود. وقد أُخلِيَ سبيلي بفضل الله تعالى فور براءتي من قضية القتل - وفقا للنبوءة اليقينية التي كنت قد تلقيتها من الله تعالى ونشرتها مسبقا في مئات من الناس- أما اللص فعوقب بالسجن لثلاثة أشهر فقط، ولم يعاقَب بالموت كما حوكم اللص مع المسيح.

والعلامة الثالثة عشرة كانت أنه حين قدِّم عليه السلام أمام الحاكم بيلاطوس كي يعاقَب بالموت، قال بيلاطوس ما مفاده: لا أرى له أي ذنب حتى أدينه بهذه العقوبة. كذلك قال لي "الكابتن دوغلاس" ردًّا على قولي: لا أرى لك أي ذنب.

أرى أن دوغلاس كان أفضل بكثير من بيلاطوس من حيث صموده وشجاعته في العدل، لأن بيلاطوس أظهر جبنه في نهاية المطاف وخاف من علماء اليهود الأشرار، أما دوغلاس فلم يخَف

قط. ففي المحكمة، طلب منه المولوي "محمد حسين" كرسيا وقال: لديَّ شهادات من قبل الحاكم الأعلى تؤهلني للحصول على الكرسي، ولكن دوغلاس لم يبالِ بذلك ونهره على طلبه ولم يعطه كرسيًا، بل أعطاني أنا مع كوني متَّهَمًا. علما أن الحائزين على الكرسي في السماء، لا يحتاجون إلى الكراسي الأرضية، ولكن سأذكر أنا وجماعتي دائما تلك الأخلاق الفاضلة التي ظهرت من "بيلاطوس" عصرنا، وسيُذكر بتقدير إلى آخر الأيام.

والعلامة الرابعة عشرة للمسيح أنه ما كان من بني إسرائيل، لكونه بلا أب، ولكن مع ذلك كان النبي الأخير من السلسلة الموسوية، ووُلد في القرن الرابع عشر من بعد موسى عليهما السلام. كذلك أنا؛ فلست أنحدر من قبيلة قريش، وقد بُعثت في القرن الرابع عشر، وكنتُ الأخير مبعثًا.

والعلامة الخامسة عشرة للمسيح كانت أن الدنيا في عصره قد تغيرت تماما، إذ رُصفت الشوارع، وتحسن نظام البريد ونظام الجيش إلى حد كبير، واخترعت وسائل نقل جديدة تيسيرا على المسافرين، وتحسنت قوانين المحاكم أيضا. وكذلك تقدمت في عصري أسباب الراحة في الدنيا كثيرا، بحيث وُجد القطار الذي ورد الخبر عنه في القرآن الكريم، والقارئ اللبيب يستطيع أن يدرك بقية الأمور بنفسه.

والعلامة السادسة عشرة للمسيح كانت أنه كان يماثل آدم لولادته بلا أب، كذلك أماثل آدم من ناحية لولادتي توأما. وفي هذا الصدد يقول محيي الدين بن عربي "إن خاتَم الخلفاء يكون صيني الأصل، أي من المغول وسيولَد توأما مع بنت تسبقه ولادةً"، وكذلك وُلدتُ صبيحة يوم الجمعة توأما مع بنت سبق مجيئُها ولادتي. لا أدري إلى الآن من أين استخرج ابن عربي هذه النبوءة الموجودة في كتبه.

هذه هي أوجه الشبه الستة عشر بيني وبين المسيح عليه السلام. والظاهر أنه لو كان ذلك من صنع الإنسان لما وجدت المماثلة بيني وبينه إلى هذا الحد. لا شك أن التكذيب عادةُ أولئك الذين لم يُكتب لهم نصيب من السعادة، ولكنني أستغرب من تكذيب علماء هذا العصر، إذ قد بُعثتُ في الوقت المناسب، وظهر في السماء من أجلي كسوف الشمس والقمر في شهر رمضان بحسب الأنباء الواردة في القرآن والحديث وأخبار الأنبياء الآخرين. وأنا الذي تفشى في عهده في هذا البلد طاعون جارف وخارق للعادة وفق أنباء الأنبياء السابقين. وأنا الذي أُوقِف في زمنه الحج كما ورد في الحديث. وأنا الذي طلع في زمنه مذنَّب كان قد طلع في زمن المسيح عليه السلام. وأنا ذلك الشخص الذي ظهر في زمنه القطار وعُطِّلت العشار. والوقت قريب بل على

الأبواب بدء حركة القطار بين مكة والمدينة وتُعطَّل العشارُ التي كانت تقوم بهذا السفر المبارك منذ ١٣ قرنا، عندها يتحقق الحديث الوارد في صحيح مسلم الذي جاء فيه: "لَيُتركنّ القلاصُ فلا يسعى عليها".

كذلك أنا الذي ظهرت على يده مئات المعجزات، فهل من شخص حيٍّ على الأرض يقدر على مبارزتي في إظهار الآيات ويغلبني؟ أقول حلفا بالله الذي نفسي بيده: إنه قد ظهرت على يدي أكثر من مئتَي ألف معجزة، وربما رأى قرابة عشرة آلاف شخصٍ رسول الله ﷺ في الرؤيا وقد صدَّقني ﷺ. ولقد رأى أصحابُ الكشوف - المعروفين في هذا البلد، ولكل واحد منهم قرابة ثلاث مائة ألف أو أربع مائة ألف مريد - الرؤى أنَّ هذا العبد هو من الله تعالى، وكان بعضهم قد خلا قبل بعثتي بثلاثين سنة تقريبا، ومنهم رجل صالح اسمه "غلاب شاه" عاش في محافظة "لدهيانه"، وكان قد أخبر المرحومَ "ميان كريم بخش" الساكن في "جمال بور" أن عيسى قد وُلد في "قاديان" وسيأتي إلى لدهيانه. كان السيد ميان كريم بخش عجوزا صالحا موحِّدا، وقد قابلني في لدهيانه وسرد لي تفصيل هذه النبوءة، فآذاه المشايخ كثيرا ولكنه لم يأبه بهم وقال لي: إن غلاب شاه كان يقول لي بأن عيسى بن مريم قد مات وليس حيا، ولن

يرجع إلى الدنيا ثانية. وعيسى هذه الأمة هو مرزا غلام أحمد، الذي جعلَته مشيئة الله وحكمته مثيلا لعيسى الأول، وسماه الله عيسى في السماء. وقال أيضا: يا صاحبي كريم بخش، حين يظهر عيسى هذا سترى أن المشايخ يعارضونه معارضة مريرة ولكنهم يخيبون ويخسرون، وسيظهر ذلك العيسى في الدنيا ليزيل ما ألبس الناسُ القرآنَ الكريمَ من معانٍ خاطئة، وسيُري الدنيا وجهه الصحيح. وكذلك أشار هذا الصالح في النبوءة المذكورة بصراحة تامة لصاحبه كريم بخش: أنك سوف تُرزَق عمرا طويلا وسترى عيسى.

وفي هذا الآن، يكذبني المشايخُ مع وجود كل هذه الشهادات والمعجزات والآيات القاهرة، وكان من المفروض أن يفعلوا ذلك لكي تتحق النبوءة الكامنة في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

اعلموا أن أساس هذه المعارضة ليس إلا الحمق، فالمشايخ يريدون أن يتحقق كل ما لديهم من رطب ويابس علامةً على صدق المسيح الموعود، ولا يريدون أن يؤمنوا بمن يدعي بكونه مسيحا أو مهديا موعودا لعدم انطباق حديث واحد عليه وإن انطبقت الأحاديث الأخرى كلها. علمًا أن خطأ هذا المبدأ قد ثبت منذ البداية. والمعلوم أيضا أنه لم يتحقق في عيسى ما اختلقه اليهود في كتبهم من علامات مزعومة، كذلك لم يتحقق في شخص نبينا الأكرم ﷺ أيضا إلا نزر

يسير مما اختلقه هؤلاء الأشقياء من علامات حسب زعمهم؛ إذ كانوا يزعمون أن النبي الأخير سيأتي من بني إسرائيل، ولكن رسول الله ﷺ كان من بني إسماعيل. لو شاء الله، لأنزل في التوراة أن اسم ذلك النبي سيكون محمدا، واسم أبيه عبد الله، واسم جده عبد المطلب، وسيُولَد في مكة ويهاجر إلى المدينة، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يفعل ذلك لأن مثل هذه النبوءات يرُاد بها الابتلاء أيضا إلى حد ما.

الحق أنه قد أُنبِئ سابقًا عن المسيح الموعود أنه سيأتي حَكَما لمختلف الفِرق المسلمة. والظاهر أن كل فرقة متشبثة بأحاديث مختلفة، فكيف يمكن إذن أن يؤيد المسيح الموعود أفكار كل فرقة؟ فلو أيّد أهلَ الحديث لسخط الأحنافُ، ولو صدَّق الأحنافَ لاستاء منه الشوافعُ ولأصر أهل التشيع على أنه يجب أن يُبعث بحسب عقائدهم. فكيف يمكن أن يُرضي الجميع في هذه الحال؟ بالإضافة إلى ذلك تقتضي كلمة "الحَكَم" أنه سيُبعث حين تكون جميع الفِرق قد ابتعدت عن الحق إلى حد ما، وفي هذه الحالة يكون من الخطأ الفادح أن يختبروه على محك ما عندهم من الأحاديث. بل يجب أن يتمسكوا بالمبدأ، ويستفيدوا مما يظهر في وقته من المعجزات والعلامات التي أُخبِر بها من قبلُ، ويعتبروا الأخرى موضوعة ومن افتراء الناس. وهذا هو المبدأ الذي تمسك به اليهود المسعودون الذين

أسلموا، لأن ما ظهر من أحاديث اليهود المذكورة من قبل وتحققت في شخص النبي ﷺ اعتبروها صحيحة، والتي لم تتحقق اعتبروها موضوعة. ولو لم يفعلوا ذلك لما ثبتت عند اليهود نبوة عيسى عليه السلام ولا نبوة سيدنا رسول الله ﷺ. فالذين أسلموا ما كان لهم إلا أن يتخلوا عن مئات الأحاديث الموضوعة المتداولة بين اليهود. فحين رأوا أنه من ناحية قد تحققت بعض العلامات التي أُخبِر عنها من قبل، ومن ناحية أخرى هناك بحر زخار من التأييدات الإلهية مع رسول الله ﷺ استفادوا من الأحاديث التي تحققت. ولو لم يفعلوا ذلك لما أسلم ولا واحد منهم.

لقد شرحت كل هذه الأمور للشيخ عبد اللطيف بأساليب مختلفة. واللافت أنه قال لي إنه يعلمها كلها سلفًا. وبالإضافة إلى ذلك سرد لي أدلة كثيرة وعجيبة على وفاة المسيح عليه السلام وعلى أن المسيح الموعود يجب أن يبعث في هذا الوقت ومن هذه الأمة. وما تعجبتُ منه أكثر أنه ذكَّرني شطرا من بيت بالفارسية معناه:

في البصرة وُلد الحسن وبلال في أرض الحبشة!

إن معظم استدلالاته كانت مبنية على القرآن الكريم. وكان يكرر لي كثيرا: ما أغبى هؤلاء الذين يظنون أن نبوءة مجيء المسيح الموعود وردت في الأحاديث فقط في حين أنه يثبت بقوة من القرآن الكريم

موت عيسى عليه السلام وبعثة المسيح الموعود من هذه الأمة، ولا يثبت ذلك بالقوة نفسها من الأحاديث! كان الله تعالى قد ملأ قلبه بحق اليقين وكان يعرفني بالمعرفة التامة كمن يرى أحدًا نازلا حقيقةً من السماء مع الملائكة. ومنذ ذلك الحين ذهب وهلي إلى أن لفظ نزول المسيح الذي ورد في الأحاديث يُستخدَم في كلام العرب للإكرام والاحترام كما يقال: نزل جيش في مقام كذا، ويقال للغريب الوارد إلى مدينة: أين نزلتَ؟ وكما قال الله تعالى في القرآن الكريم عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ ✪ وكما ذُكر في الإنجيل نزولُ عيسى ويحيى عليهما السلام من السماء. ولكن مع كل ذلك فإن لفظ "النـزول" يشير أيضا إلى أن الأدلة على صدق المسيح الموعود تكون من الكثرة بحيث يتيقن أهل الفراسة من كونه مسيحا موعودا يقينا كاملا وكأنه نزل من السماء أمام أعينهم، فأبدى الشاهزادةُ "عبدُ اللطيف" الشهيدُ، هذا النموذجَ من اليقين الكامل.

ليس هناك ما هو أصعب من التضحية بالنفس، وإن تقديم التضحية بالنفس بهذه الاستقامة والصمود يبرهن بكل جلاء على أن جميع جوانب دعواي واضحة ولامعة مثل الشمس الساطعة. فأولا

✪ *المزمل:* ١٦

قد حكم القرآن الكريم أن عيسى بن مريم قد مات ولن يرجع إلى الدنيا ثانيةً، ولو افترضنا جدلا أن هناك مائة ألف حديث يعارض القرآن الكريم فلا بد أن يكون كلها باطل وموضوع ومن صُنع مفترٍ كذّابٍ؛ والحق ما بيّنه القرآن الكريم. والأحاديث الجديرة بالقبول هي تلك التي لا تعارض في بيانها قَصص القرآن. ثم إن القرآن نفسه قد أصدر قراره في سورة النور بكلمة ﴿منكم﴾ * أن كافة خلفاء هذه الأمة سيكونون من هذه الأمة، ويكونون كخلفاء السلسلة الموسوية، والموعود به بعثةُ واحد منهم فقط في نهاية السلسلة، ويكون هذا الموعود مثيلا لعيسى، أما الآخرون فلن يكونوا موعودًا بهم، أي لن تكون هناك نبوءة عنهم بالاسم. وإن كلمة "منكم" موجودة في صحيحي البخاري ومسلم أيضا، ومعناها أن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة. فلو تدبر أحد جيدا في هذا المقام و لم يسلك مسلك الخيانة، لتيقّن بالتأمل في كلمة "منكم" الواردة في ثلاثة أماكن، أن الأمر قد بلغ إلى حد اليقين بأن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة حتما. أما فيما يتعلق بدعواي فهي

---

* *يشير حضرته عليه السلام إلى قول الله تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (المترجم)*

مدعومة بأدلة لا يسع أحدا - إلا إذا ترك الحياء مطلقًا وصار وقِحا - إلا أن يؤمن بي كما آمن بنبوة النبي ﷺ. ألا تكفي لإثبات دعواي أن القرآن الكريم تناول ذكري بالقرائن القوية والعلامات الواضحة وكأنه ذكر اسمي. أما الأحاديث، فقد ورد فيها اسم قريتي بكلمة "كَدعة".

كما يثبت من الأحاديث فإن المسيح الموعود سيُولَد في القرن الثالث عشر وسيظهر في القرن الرابع عشر. وقد وُصفتْ ملامحي أيضا في صحيح البخاري. وورد أيضا أن المسيح الموعود سيظهر في شرقيّ دمشق، والمعلوم أن قاديان تقع شرق دمشق. وظهور الكسوف والخسوف في السماء في شهر رمضان عند دعواي وتكذيب الناس لي، وتفشي الطاعون في الأرض، واختراع القطار بحسب القرآن الكريم والحديث، وتعطيل ركوب الإبل، ومنع الحج، وغلبة الصليب وظهور مئات المعجزات على يدي، وتحديد الأنبياء هذا الوقت لظهور المسيح الموعود، وبعثتي على رأس المائة، ورؤية ألوف من الصلحاء رؤًى لتصديقي، وتصريح النبي ﷺ والقرآن الكريم أن المسيح الموعود سيكون من أمتي، وكون التأييدات الإلهية معي، وبيعة ألوف من الناس - نحو مئتَي ألف شخص - على يدي، وتمسكهم بالصدق ونيلهم طهارة القلب، وانحطاط الديانة المسيحية

بشكل عام في عصري، وبدء ذوبان سحر التثليث مثل الثلج، وافتراق المسلمين إلى فِرق كثيرة وتعرضهم للانحطاط، وشيوع البدعات المختلفة، والشرك وشرب الخمر والزنا والخيانة والكذب في الدنيا وحدوث التغيُّرات فيها بشكل عام ووقوع الانقلاب العظيم في هذا العالم، وشهادة كل عاقل على حاجة الدنيا إلى مصلح، وعجز الناس كلهم في مبارزتي سواء في مجال الكلام المعجز أو الآيات السماوية، وتحقق مئات الآلاف من النبوءات الإلهية لتأييدي؛ كل هذه الآيات والعلامات والقرائن تكفي شخصًا يخشى الله تعالى ليقبلني.

هنا يعترض بعض الجهال أن بعضا من نبوءاتي لم تتحقق، مثل النبوءة عن موت "آتهم" وموت زوج ابنة أحمد بيك. ولكن عليهم أن يستحوا من الله تعالى، فقد تحققت مئات الألوف من نبوءاتي كالشمس في كبد السماء، وتظهر وتتحقق آيات جديدة يوما فيوما، وإن لم يفهم المعترضون نبوءة أو نبوءتين بعد ذلك، فمن شقاوتهم أن ينكروا مئات الآيات الإلهية والأدلة والمعجزات بسبب سوء الفهم الناتج عن قصور عقلهم.

وإذا كان الإنكار بهذا الأسلوب جائزا فأخبرونا عن نبي واحد لم يُنكر معارضوه تحقيق بعض نبواءته؛ فنبوءة النبي ملاخي لم تتحقق

على ظاهرها إلى الآن، فأين ومتى عاد إلى الدنيا النبي إيليا الذي ينتظره اليهود إلى اليوم؟ مع أن المسيح قد جاء وكان من المفروض أن يأتي إيليا قبله. ومتى تحققت نبوءة المسيح عليه السلام حيث قال ما مفاده بأنني سأعود إلى الدنيا وسيكون أهل هذا الزمن أحياء؟◈ ومتى تحققت نبوءته أن مفاتيح السماء في يد بطرس؟● ومتى تحققت

◈ جاء في إنجيل متى: "فَمَتَى نَظَرْتُمْ "رِجْسَةَ الْخَرَابِ" الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ - لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ - فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ. وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا. وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ... وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ." (مَتّى ٢٤) (المترجم)

● "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ" (مَتّى ١٦: ١٨-١٩) (المترجم)

نبوءته أنه سيقيم عرش داود؟• ومتى تحققت نبوءته أن اثنَي عشر من حوارييه سيجلسون على اثنَي عشر عرشا؟* علمًا أن يهوذا الاسخريوطي الذي كان وُعد باعتلاء العرش قد ارتد ودخل جهنم، واختير حواري آخر بدلا منه لم يكن بحسبان المسيح قط. إن مثل ذلك الأمر وارد بالأحاديث؛ فقد جاء في "الدر المنثور" أن النبي يونس قد تنبأ بصورة قطعية وبدون أي شرط، أن العذاب سينزل على أهل نينوى خلال أربعين يوما وسيهلكهم خلال هذه الفترة. ولكن لم ينزل عليهم أي عذاب و لم يهلكوا. و لم يكن للنبي يونس إلا أنْ فرَّ من هناك خجلا. هذه الأنباء موجودة في كتاب النبي يونان في التوراة التي يعتبرها المسيحيون منـزّلةً من الله تعالى. ومع

• *"فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. ٣٢هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لُوقَا ١ : ٣٠-٣٣) (المترجم)*

* *"فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟" فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ". (مَتَّى ١٩ : ٢٧-٢٨) (المترجم)*

كل هذا يؤمن المسلمون بهؤلاء الأنبياء كلهم ولا يبالون بهذه الاعتراضات كثيرة العدد.

أما النبوءتان المذكورتان أعلاه اللتان يعترضون عليهما أي المتعلقة "بآتهم" وزوج ابنة "أحمد بيك" فقد كتبنا عنهما مرارا وتكرارا أن النبوءة عن موت آتهم قد تحققت بكل جلاء. فابحثوا الآن عن آتهم، أحيٌّ هو أم ميِّت؟ كان مغزى النبوءة أن الكاذب من الفريقينِ سيموت قبل الصادق، فقد مات آتهم منذ فترة من الزمن. أما ما ورد في النبوءة أن آتهم سيموت خلال خمسة عشر شهرا فكان مشروطا – كما نشرنا – بعدم رجوعه إلى الحق. ولكن آتهم تراجع في المجلس نفسه عن الإساءة، حين أخبرته بأني أنبأتُ بهذا النبأ لأنك سميت النبي ﷺ "دجالا" في كتابك. ففور سماعه هذا الكلام شحب لون وجهه وأخرج لسانه في تضرع متزايد ووضع يديه على أذنيه وقال إني لم أقل ذلك في حق النبي ﷺ، وأظهر تواضعا وتضرعا مفرطينِ. وذلك في أثناء وجود أكثر من ستين مسلما ومسيحيا. ألا تُعتبَر هذه الكلمات تراجعا عن الإساءة وسوء الأدب؟ ثم لزم الصمت والوجوم دون معارضة إلى ١٥ شهرا، وقضى معظم وقته في تضرع وبكاء، وأحدث في تصرفاته تغييرا جذريا. فيكفي لمؤمن تقي أنْ أحدث آتهم تغييرا في تصرفاته. ولما خاف اللهَ وتواضع

وتضرع وتراجع نهائيًا عن الإساءة وسوء الأدب، بل تــرك أيــضا صحبة المسيئين وسيئي الأدب في مدينة أمْرِتْسر، وأخلى بيته هنــاك وانتقل إلى مدينة "فيروز بور"، كان ضروريا أن يستفيد مــن هــذا القدْر من الخوف. ولكن هذا لم يكن كافيا له ليُحفَظ من المــوت فمات سريعا في الأيام نفسها في أثناء حياتي، غير أنه استفاد إلى حد ما من الشرط المذكور في النبوءة.

أما "ليكهرام" الذي لم يُظهر تخوُّفه وتضرعه في أثناء المدة المحددة في النبوءة بل ازداد إساءة وبدأ يسيء إلى الإســلام في الأســواق والأزقة والمدن والقرى، فأُخذ بسوء أعماله أثناء المدة المحددة. وقــد جرى لسانه مثل السيف بالسباب والبذاءة فقضى عليــه الــسيف نفسه.

أما زوج ابنة أحمد بيك فيعلم كل واحد أن النبوءة كانت عــن شخصينِ اثنينِ هما: أحمد بيك وزوج ابنته، فتحقق جزء منها خلال المدة المحددة، أي هلك أحمد بيك في المدة المحددة، و لم يبق منــها إلا الجزء الثاني الذي يُعترَض عليه. ولكن للأسف الشديد، إن المعترضين لا يقدمون الأمر بصدق وأمانة، إذ لم أسمع من أي معترض إلى اليوم بأن جزءا من النبوءة قد تحقق ونعترف بتحققه بصدق القلب، ولكن

الجزء الثاني لم يتحقق إلى الآن، بل يخفون ما تحقق منها ثم يعترضون. هل هذا التصرف مطابق للإيمان والحياء وصدق المقال؟

والجواب على الاعتراض - بغض النظر عن كلامهم المبني على الخيانة - كما يلي: إن هذا النبأ أيضا مشروط بشرط مثل النبأ عن آتهم؛ فقد قيل فيه إنه سيتحقق خلال المدة المحددة إن لم يُظهر أيٌّ منهم خشية أو خوفا. فلم يدرك أحمد بيك خطورة هذا الشرط، وظل يزعم أن النبأ مخالف لواقع الأمر. أما زوج ابنته وأقاربه الآخرون فقد استولى عليهم الخوف والذعر لأن موت أحمد بيك أرعد وأرعش قلوبهم. كما أنه من طبيعة الإنسان - مهما كان قويا وشديدا - أنه حين يرى أمرا مخيفا، يذعر ويرتعب حتما. فكان ضروريا أن يُعطَى هو (صهر أحمد بيك) أيضا مهلةً. فكل هذه الاعتراضات ناتجة عن الجهل والعمى والتعنت، وليس منشؤها الأمانة أو البحث عن الحقيقة عند شخص ظهرت على يده أكثر من مليون آية إلى الآن، ولا تزال تظهر. وإذا لم يفهم الجاهل أو سيئ الفهم أو الغبي نبوءة أو نبوءتين من نبوءاته، فهل يجوز أن يُستنتَج من ذلك أن جميع نبوءاته ليست صادقة؟ أقول بتحد مقرون بالوعد الصادق أنه إذا استطاع أحد من معارضينا -سواء كان مسيحيا أو مسلما مدعيا الإسلام- أن يُثبت نبوءات مَن يظنونه نازلا من

السماء بوضوح ويقين وبداهة، أكثر من ثبوت نبوءاتي، فإني جاهز لأدفع له ألف روبية نقدًا. ولكن دون أن يكون أسلوب الإثبات ليس أن يقدِّم في هذا الصدد بأن يُقدِّم القرآنَ الكريمَ ويقول بأن القرآن الكريم قد اعترف بنبوة عيسى عليه السلام؛ لأنه لو أخذنا بهذا المبدأ فأنا أيضا أُعلِن بكل قوة أن القرآن الكريم يشهد على صدقي أيضا، مع العلم أنه لم ترد في القرآن الكريم كلمة "يسوع" قط، أما أنا فقد وردت في حقي كلمة ﴿منكم﴾ بالإضافة إلى علامات كثيرة أخرى أيضا. ما أقصده هنا هو أن تُلقى - بغض النظر عن القرآن الكريم - نظرة التحقيق في نبوءاتي ونبوءات يسوع، ليقرر العقل مَن ذا الذي تحققت نبوءاته أو تحقق أكثرها بجلاء ووضوح، ومَن ذا الذي لم يحظَ بهذه الدرجة من التحقق. أي يجب أن يكون هذا التحقيق والمقارنة بحيث يستطيع مَن كان من منكري القرآن الكريم أيضا، أن يصرح بمَن ترجحُ كفتُّه.

ومع ذلك فإنني أتأسف على أن معارضينا يسمون أنفسهم مسلمين، ولكنهم يجهلون مبادئ الإسلام؛ فمن المسلَّم به في الإسلام، أنه ليس ضروريا أن يحقق اللهُ بالضرروة نبوءةً تحتوي على الوعيد، أي النبوءة التي تنذر بحلول آفة بشخص أو بقوم. ففي هذه الحالة يمكن أن يلغي اللهُ تعالى تلك الآفة كما ألغَى نبوءةَ يونس

عليه السلام التي حددت مدة أربعين يوما. أما النبوءة التي تحتوي على الوعد، أي البشارة عن إنعام، فلا تُلغى قط. لقد قال تعالى في هذا الصدد: ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ * ولم يقل: إن الله لا يخلف الوعيد. والسر في ذلك أن نبوءة الوعيد يمكن أن تُلغى نتيجة الخوف والدعاء والصدقة. ولقد أجمع الأنبياء كلهم على أن البلاء الذي يكون نازلا على شخص في علم الله، يمكن ردُّه نتيجة الصدقة والخوف والخشوع.

فكَّروا الآن، إنْ أُخبِر نبيٌّ أو وليٌّ بما في علم الله من البلايا، فلن يُدعى ذلك الإخبار نبوءةً إلا إذا أخبر بها النبيُّ أو الوليُّ الآخرينَ، ومن البديهي أن البلايا يمكن ردُّها، فالنتيجة الحتمية هي أن النبوءة التي تنذر بحلول بليَّة يمكن أن تؤجَّل.

والآن أعود إلى حديثنا السابق وأقول بأنه حين جاء المولوي عبد اللطيف إلى قاديان ومكث فيها، لم تقتصر استفادته على سماعه الأدلة على دعواي بالتفصيل، بل سافر أيضا معي إلى مدينة "جِهْلُمْ"، ورأى أيضا بعض الآيات السماوية في تأييدي. وبمشاهدة كل هذه البراهين والخوارق مُلئ قلبُه بيقين يفوق العادة، وجذبته

---

* الرعد: ٣٢

القوة العليا إليها. وفي إحدى المرات شرحت له الردّ على اعتراض أيضا، فسُرَّ بذلك كثيرا؛ وفيما يلي بيان ذلك:

لما كان النبي ﷺ مثيلا لموسى، وكان خلفاؤه كأنبياء بني إسرائيل، فلماذا سُمِّي المسيح الموعودُ وحده في الأحاديث نبيًا ولم يُعطَ هذا الاسم للخلفاء الآخرين؟ فأجبته على ذلك بما يلي: إن النبي ﷺ هو خاتَم الأنبياء، ولا نبيَّ بعده، لذا فلو سمِّي كل واحد من خلفائه نبيًّا، لاشتبه أمر النبوة، ومن ناحية ثانية لو لم يسَمَّ أي واحد منهم نبيًّا، لوقع الاعتراض من حيث عدم تحقق التشابه، لأن خلفاء موسى كانوا أنبياء، ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يُبعث الخلفاءُ في بداية الأمر مراعاةً لختم النبوة دون أن يسمُّوا أنبياء أو يُعطَوا هذه المرتبة. وأُطلِقَ على الخليفة الأخير *(أي المسيح الموعود)* اسم نبي، لكي يتم التشابه بين السلسلتين من حيث الخلافة. ولقد بينَّا أكثر من مرة، أن نبوة المسيح الموعود هي نبوة ظِليّة، لأنه استحق أن يسمَّى نبيا لكونه ظلا كاملا للنبي ﷺ ولاستفاضته من فيض النبي ﷺ، ولأن الله تعالى قد خاطبني في الوحي قائلًا: "يا أحمدُ جُعِلتَ مرسَلا"، أي صرت مستحقا لاسم النبي بصورة بروزية، ومع أن اسمك كان غلام *(أيْ خادم)* أحمد ولكنك تستحق أن

يُطلَق عليك لفظ "النبي" على سبيل الظلية والبروزية، لأنّ "أحمد" نبيٌّ، ولا يمكن أن تنفصل النبوة عنه.

ومرة أخرى دار الحديث حول ما ورد في الأحاديث أن المسيح الموعود سينزل بين مهرودتين، مهرودة تغطي الجزء الأعلى من جسمه ومهرودة تغطي الجزء الأسفل منه. فقلتُ: هذه إشارة إلى أن المسيح الموعود سيُبعث وهو مصاب بمرضين، لأن الثوب الأصفر يرمز إلى المرض في علم تعبير الرؤى، وأنا مصاب بمرضينِ: أحدهما مرض في الرأس والثاني كثرة التبول.

وبينما كان *(عبد اللطيف)* في تلك الحالة، إذ فُتح عليه باب الإلهام والوحي نتيجة يقينه القوي والتغير الكبير الحادث فيه، فتلقى من الله تعالى شهادات في تأييدي بكلمات واضحة، فاختار لنفسه بسببها في نهاية المطاف الشهادة، وقد حان الأوان لذكرها بالتفصيل.

اعلموا يقينًا أنكم لن تجدوا في تاريخ الإسلام الممتد على ١٣٠٠ سنة نظيرا للأسلوب الذي اختار به الشهيدُ الموتَ في سبيل تصديق دعواي، اللهم إلا في سِيَر صحابة النبي ﷺ. لا شك أن قبوله الموت بهذه الطريقة وتسليم الروح لله تعالى في سبيل تصديقي، لآيةٌ عظيمة على صدقي، ولكن فقط للذين يعقلون. إذا كان الإنسان

يشك ويرتاب في أمر ما، فأنَّى له أن يضحي بنفسه في سبيله ويترك زوجه وأولاده عُرضة للهلاك والدمار؟ والأغرب من ذلك أن هذا الشخص لم يكن إنسانا عاديا، بل كان يملك في ولاية كابول أملاكًا تُعَدُّ بمئات الألوف، كما كان يملك في حكم الإنجليز أراض مترامية الأطراف. وكان قد بلغ من العلم مبلغا جعله معترفًا به كرئيس المشايخ في الولاية. وكان يُعترف له بكونه أعلمهم بالقرآن والحديث والفقه، وبيده تُوِّج الحاكمُ الجديد، وهو الذي كان يصلي على مَن مات؟ منهم. ولقد وصلتنا هذه المعلومات بواسطة مصدر موثوق به. وسمعت من فمه أن له في ولاية كابول نحو خمسين ألفا من المريدين والأتباع، ومن بينهم كبار رجالات الدولة أيضا.

باختصار، كان فريدا في ولاية كابول ولا نظير له في البلاد، سواء من حيث العلم أو التقوى أو الشرف والمكانة أو العائلة. وبالإضافة إلى لقب "المولوي" كان معروفا في البلاد بألقاب: صاحبزاده وأخْوان زاده وشاهزاده. وكان المرحوم يملك مكتبة كبيرة تشمل كتب الحديث والتفسير والفقه والتاريخ، وكان حريصا دائما على شراء كتب جديدة. وكان يشتغل دائما في

الدراسة والتدريس، وقد نال مئات من الناس لقب "المولوي" إثـــر تتلمذهم على يديه.

ولكن مع ذلك كله كان قد بلغ من التواضع مرتبة لا يبلغهـــا أحد ما لم يكن فانيا في الله عَزَّوَجَلَّ. كل إنسان يصيبه بعض الاعتـــزاز بالنفس بعد نيله العلم والشهرة إلى حد ما، فيعتبر نفسه جديرا بأن يُشار إليه بالبنان، فيمنعه هذا العلم والشهرة من قبول الحق. أمـــا هذا الرجل فكان قد ألغى نفسه نهائيا - على كونه جامعا للفضائل - ولم تمنعه من قبول الحقيقة والصدق مرتبته العلمية والعمليـــة أو الاجتماعية، وضحّى في نهاية المطاف بنفسه من أجل الصدق وترك لجماعتنا نموذجا يريد الله تعالى أن يُتّبع.

وفيما يلي نكتب وقائع شهادة هذا الولي، ونذكر كيف قُتـــل بدون رحمة وهوادة، وكيفَ أبدى بدروه استقامة وصـــمودا - في هذا السبيل - ليس بوسع أحد التحلي بهما في دار الغرور هذه ما لم يكن قلبه عامرًا بالقوة الإيمانية الكاملة. وسنكتب لاحقا أنه كان من المقدر أن يحدث ذلك لأن الله تعالى كان قد أخبرني قبـــل ٢٣ عاما باستشهاده واستشهاد تلميذه؛ وكنتُ حينها قد نشرت هـــذا الخبر في كتابي "البراهين الأحمدية". إن هذا الرجل الجليل الشأن لم يُظهر آية باستقامته الكاملة فحسب، بل ظهرت بواســطته آيـــة

أخرى أيضا، إذ قد تحققت باستشهاده نبوءة قديمة، وسنكتب في النهاية تلك النبوءة إن شاء الله.

فليتضح أنه قد ذُكرت في "البراهين الأحمدية" نبوءتان: أولاهما عن استشهاد ميان عبد الرحمن وهو تلميذُ المولوي عبد اللطيف، وقد استُشهد على يد الحاكم عبد الرحمن والدِ الحاكم الحالي. ونذكر أولا شهادة ميان عبد الرحمن مراعاة للترتيب الزمني.

بيان استشهاد
المرحوم ميان عبد الرحمن،
تلميذ المولوي صاحبزاده عبد اللطيف
رئيس "خوست" بأفغانستان

قبل استشهاد المولوي صاحبزاده عبد اللطيف بعامين على وجه التخمين جاء تلميذه الرشيد ميان عبد الرحمن إلى قاديان مرتين أو ثلاث مرات، وكان في كل مرة يقيم عدة شهور. وببقائه في صحبتي بصورة متواصلة وتعليمي له وسماعه الأدلة، اتخذ إيمانه صبغة إيمان الشهداء. وحين عاد إلى كابول في المرة الأخيرة، كان قد أخذ نصيبا كاملا من تعليمي. وفي أيام إقامته هنا نُشرت صدفةً بعض كتبي عن منع الجهاد القتالي، فعلم من خلالها أن هذه الجماعة تعارض الجهاد القتالي. ثم استأذنني ووصل إلى مدينة بيشاور، وقابل هناك صدفةً "خواجه كمال الدين" الذي كان يزاول مهنة المحاماة وكان من مريديَّ. وفي تلك الأيام بالذات كان خواجه كمال الدين قد نشر كتيبا في النهي عن الجهاد القتالي. فاطّلع على مضمون

الكتيب وترسخ في ذهنه - حتى أصبح بعد وصوله إلى كابول يذكر في كل مكان - أن قتال الإنجليز لا يجوز، لأنهم يحمون أعدادا كبيرة من المسلمين، ويعيش في ظل حكومتهم الملايين منهم بأمن وسلام. ثم وصل هذا الخبر رويدا رويدا إلى الحاكم عبد الرحمن، فقال له بعض البنجابيين الأشرار - الذين كانوا زملاءه في العمل- أن "ميان عبد الرحمن" مريد شخص بنجابي يدّعي أنه المسيح الموعود، ومن تعليمه أن الجهاد ضد الإنجليز لا يجوز، بل إنه يعارض قطعا فكرة الجهاد القتالي في هذا العصر. فاستشاط الحاكم غضبا بسماع هذا الكلام وأمر بسجنه، ليطّلع على الأمور بوضوح أكثر بعد البحث والتحقيق، وفي نهاية المطاف ثبت أن هذا الشخص مريد للمسيح القادياني ويعارض فكرة الجهاد القتالي، عندها طُوِّق عنق هذا المظلوم واستُشهِد خنقا، ويقال إن بعض الآيات السماوية قد ظهرت بعد شهادته.

كان هذا ذكر الشهيد ميان عبد الرحمن. والآن أذكر الحادث المؤلم لشهادة المولوي صاحبزاده عبد اللطيف، وأنصح أفراد جماعتي أن يدعوا دائما لنيل إيمانٍ مثل إيمانه، لأن الإنسان إن كان بعضُه لله وبعضه للدنيا فلا يُكتَب مؤمنا في السماء.

ذكر أحداث استشهاد
الشهيد المولوي صاحبزاده عبد اللطيف
الرئيس الأعظم في "خوست" منطقة "كابول"
غفر اللهُ له

لقد قلنا من قبل إن المولوي المحترم قد جـاء إلى قاديـان مـن "خوست" منطقة "كابول" وأقام عندي وبقي في صـحبتي عـدة أشهر. وحين تَقرَّر في السماء بصورة قاطعة أن ينال مرتبة الشهادة، استأذن مني وعاد إلى وطنه. وكما علمت من مصادر موثوق بهـا وشهود عيان أن المولوي المحترم، وبقضاء الله وقدره، عندما وصـل إلى قرب حدود ولاية كابول، توقف قليلا في أراض إنجليزية وبعث رسالةً إلى تلميذه اللواء محمد حسين كتب فيها: لو استأذنتَ الحاكم لحضوري إلى كابول وأخبرتني لحضرتُ. وبذلك فهو لم يذهب إلى هناك دون إذن، لأنه كان قد استأذن الحاكمَ للحج قبـل الـسفر، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب مكثه الطويل في قاديان، ففاتَه الحجُ. ولما كان قد علم يقينا أنني أنا المسيح الموعود، فضَّل البقاء في صحبتي،

وأجّل الحج إلى السنة المقبلة بحسب النص القرآني القائل: ﴿أَطِيْعُوا اللَّهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ﴾. ❖

وكل شخص يستطيع أن يُدرك أنه إذا تيسر للعازم على الحج، أن يقابل المسيح الموعود الذي ينتظره المسلمون منذ ١٣ قرنا، فلن يذهب للحج دون إذنه، وذلك بموجب نص القرآن والحديث الصريح، ويمكنه أن يحج بإذنه في وقت آخر.

فلما لم يستطع سيد الشهداء (عبد اللطيف) أن يحج لصحة نيته، بل قضى جلّ أيامه في قاديان، رأى أنه من المناسب قبل أن يدخل كابول أو يضع قدمه داخل حدود الولاية، أن يبين لحاكم كابول - وهو لا يزال في الأراضي الإنجليزية- سبب عجزه عن أداء الحج. كما رأى أنه من المناسب أيضا أن يبعث رسالة إلى اللواء محمد حسين ليسرد حقيقة الأمر على الحاكم في وقت مناسب وبكلمات مناسبة. وكتب أيضا في الرسالة: كنتُ قد خرجت للحج، لكن حظيت بلقاء المسيح الموعود، وما دام الله تعالى ورسوله ﷺ قد أمرا بتقديم زيارة المسيح الموعود وطاعته، فاضطررت للبقاء في قاديان. وما فعلت ذلك عن أمري بل رأيته ضروريا بناء على ما ورد في القرآن والحديث. ولما وصلت هذه الرسالة إلى اللواء محمد حسين،

❖ *النساء:* ٦٠

أرجأها ولم يقدمها إلى الحاكم في الحال. ولكن نائبه الـذي كـان معارضا وشريرا، علم أنها رسالة من المولـوي صـاحبزاده عبـد اللطيف، وعلم أيضا أنه أقام في قاديان، فـأخرج الرسـالة خفيـة وقدمها للحاكم. سأل الحاكمُ اللواءَ محمد حسين إذا كانت الرسالة قد جاءت باسمه، فنفى محمد حسين خوفا من غضب الحاكم المفرط. انتظر المولوي الشهيد الرد على رسالته الأولى عدة أيـام، ثم بعـث رسالة أخرى بالبريد إلى اللواء محمد حسين نفسه، ففتح مدير البريد الرسالةَ وأوصلها إلى الحاكم. ولما كانت شهادة حضرة المولوي قدرًا مقدورًا، وكان المرحوم قد عُدَّ في السماء في زمرة الشهداء سـابقًا، قام الحاكم بتنفيذ خطة مدروسة بُغية استقدامه إلى كابول، فبعـث إليه رسالة أن يأتي دون خوف أو وَجَل، وكتب: لأكـونن مـن المريدين إن كانت الدعوى صادقة؛ ولا يعرف الرواة فيما إذا كـان الحاكم قد بعث هذه الرسالة بالبريد أو باليد.

على أية حال بعد أن تلقى المولوي عبد اللطيف الرسالة سافر إلى كابول، وبدأت عندها عجلة القضاء والقدر تدور. يضيف الرواة أن الشهيد المرحوم كان يركب حصانا عند مروره في سوق كـابول، وخلفه ثمانية فرسان من الحكومة. ولقد عمَّ وشاع في كابول قبـل وصوله إليها، أن الحاكم قد استدرجه خدعة. ويقول شهود عيـان

إنهم اصطحبوه مع كثير من السوقة والرعاع عندما مرّ في السوق. وقالوا أيضا بأن ثمانية فرسان كانوا قد أمِروا باصطحابه من منطقة خوست، لأن المرسوم الحكومي لاعتقاله كان قد وصل إلى والي خوست قبل وصول حضرة المولوي إليها.

على أية حال، قُدِّم حضرته إلى الحاكم.. وكان المعارضون قد ألَّبوا الحاكم عليه من قبلُ.. فعامله بغضب عارم وأمر أن يُوقَف على بُعدٍ منه لأن رائحة كريهة تفوح منه، ثم أمر بعد قليل أن يُسجَن في الحصن الذي يسكنه الحاكم بنفسه، وأن يُصفَّد بسلسلة اسمها باللغة المحلية "غراغراب" التي يربو وزنها على ستين كيلو غرام تقريبا وتصل إلى الظهر وفيها صفَد اليدين أيضا. وأمر أيضا أن يوضع في قدمه صَفَدٌ آخر وزنه ثمانية كيلو غرامات تقريبا. فمكث في السجن أربعة أشهر. وفي أثناء هذه الفترة حاول الحاكم مرارا إقناعه بالتراجع عن الاعتقاد بأن القادياني هو المسيح الموعود حقًّا مقابل أن يطلق سراحه. ولكنه أجابه في كل مرة إن لدي علمًا، وقد وهبني الله تعالى قدرة على التمييز بين الحق والباطل، ولقد علمت بعد تحقيق دقيق أن هذا الشخص هو حقًا المسيح الموعود، وعلى علمي بأن اختياري هذا الطريق خطر على حياتي وفيه هلاك ودمار لأهل بيتي، ولكني أقدم ديني على حياتي وعلى كل راحة دنيوية.

ولم يجب بهذه الإجابة مرة واحدة بل كررها مرارا وهو في زنزانته. لم يكن هذا السجن كسجن الإنجليز حيث يُحترم الإنسانُ إلى حد ما، بل كان سجنا قاسيا جدا وأسوأ من الموت. ولم يكن أمرا عاديًّا أن يصبر على هذا السجن - الذي تذوب لهوْله الروح- ويضحّي بنفسه في سبيل إيمانه شخصٌ جليلُ الشأن مثله، كان يرفل من قبل في النعم ويعيش برفاهية ويملك في ولاية كابول ضيعات يُقدَّر ثمنها من الروبيات بمئات الألوف، وكان بمنزلة الإمام في ولاية كابول كلها من حيث فضائله العلمية وتقواه. وقد عاش إلى خمسين عاما من عمره عيش تنعم وراحة وبحبوحة، وكانت له عائلة كبيرة من الأهل والأولاد والأقارب، ثم ألقي في سجن قاسٍ أسوأ من الموت ترتعد لهوله الأبدان. وفي سجنه، تلقى من حاكم كابول رسائل متكررة تقول: لو أنكرتَ دعوى المدعي القادياني لأطلقتُ سراحك بعزة وشرف. ولكن هذا الولي القوي الإيمان لم يبالِ بوعوده المتكررة وأجابه مرارًا: لا تتوقعْ مني أبدًا أن أقدِّم الدنيا على الإيمان، وكيف يمكن لي أن أنكر - خشية الموت - مَن عرفتُه واطمأننت لصدقه؛ لا يسعني هذا الإنكار على الإطلاق. لقد وجدتُ الحق ولا أستطيع أن أتخلى عن الحق البيِّن من أجل الدنيا

الفانية. إني جاهز للتخلي عن الحياة، وقد قررت ذلك، ولكن الحق سيكون معي.

لن يسع أرض أفغانستان أن تنسى ردود هذا الولي. وما شهد سكان كابول طيلة حياتهم هذا النموذج من الإيمان والصمود.

والجدير بالذكر هنا أيضا أنه ليس من عادة حكام كابول أن يَعرضوا العفو مرارا وتكرارا بُغية صرف أحد عن اعتقاده، ولكن معاملة المولوي عبد اللطيف الخاصة في هذه الحال، دافعُها أنه كان بمنزلة الساعد الأيمن لولاية كابول، وكان ألوف الناس من مريديه.

وكما كتبنا من قبل، فقد كان عالما وفاضلا ومختارا في نظر الحاكم، واعتُبر كالشمس في زمرة العلماء. ومن الممكن أن يكون الحاكم قد تألم من أن شخصا مثله سوف يُقتَل حتما بسبب رأي المشايخ، والواضح أن زمام الأمور في كابول - في هذا المجال - كان في يد المشايخ. وإذا اتفق المشايخ على شيء فلا يسع الحاكم أن يخالفه. فمن المحتمل جدا أن يكون الحاكم خائفا من المشايخ من ناحية، ومن ناحية أخرى لم ير للشهيد المرحوم أي ذنب، ولذلك ظل ينصحه طول فترة بقائه في السجن ألا يؤمن بالمدعي القادياني مسيحا موعودا، وأن يتراجع عن هذه العقيدة ليُطلَق سراحه بعزة

واحترام. ولقد سَجن الحاكمُ الشهيدَ المرحوم في الحصن الذي كان يقطنه هو بنفسه لتتيسر له فُرَص إقناعه بذلك.

هناك أمر آخر أيضا جدير بالذكر، والحق أنه كان السبب في هذه الحادثة الأليمة، وهو أن الحاكم والمشايخ كانوا يعرفون جيدا أن المدعي القادياني يعارض فكرة الجهاد القتالي بشدة ويؤكد في كتبه مرارا على أن الجهاد بالسيف لا يجوز في الزمن الراهن، وصادف أن ألّف والد الحاكم الحالي كتيِّبا حول وجوب الجهاد القتالي، وهو ما يتنافى تماما مع ما نُشر في كتبي. فذهب بعض الأشرار من إقليم البنجاب -الذين يسمون أنفسهم موحدين وأهل حديث- إلى الحاكم، ولربما سمع الحاكم عبد الرحمن، والد الحاكم الحالي، منهم محتوى كتبي. وكان السبب في مقتل الشهيد المولوي عبد الرحمن أن الحاكم ظن أن عبد الرحمن من جماعة الذين يعتبرون الجهاد حراما. ومن المؤكَّد تماما أنه قد صدر من الصاحبزاده عبد اللطيف بقضاء الله وقدره خطأٌ في الظاهر إذ أعلن في السجن أن هذا الزمن ليس زمن الجهاد، وأن هذا هو من تعليم المسيح الموعود الحقيقي والصادق، والذي أعلن أن العصر الراهن هو عصرُ تقديم الأدلة، ولا يجوز فيه نشر الدين بالسيف، وأن شجرة هذه العقيدة الخاطئة لن تزدهر بل ستذبل فورا.

ولما كان الشهيد لا يأبه لشيء في سبيل إظهار الصدق، وما كان يخاف موته في سبيل نشر الحق، خرجتْ من فمه مثل هذه الكلمات بصورة تلقائية. والغريب في الأمر، كما بيّن بعض تلاميذه، أنه حين خرج مسافرا إلى وطنه كان يكرر: إن أرض كابول بحاجة إلى دمي لإصلاحها. والحقيقة أنه كان يقول الحق، لأنه لو نُشرت في أرض كابول إعلانات بعشرات الملايين، وأُثبِت كوني مسيحا موعودا بأدلة قوية، لما نفعت تلك الإعلانات مثلما نفع دم الشهيد. إن دم هذا الشهيد الذي وقع على أرض كابول بذرةٌ ستصبح دوحةً في وقت قليل وتسكنها آلاف الطيور.

والآن أنهي كلامي مبيِّنًا لجماعتي الجزء المتبقي من هذا الحادث الأليم:

حين انقضت أربعة شهور في السجن أحضر الحاكمُ الشهيدَ رحمه الله، وحاول إقناعه بأن يرتد عن عقيدته في جلسة عامة، ورغّبه بكل قوة وشدة في ذلك وقال: لو أنكرتَ أمامي المدعيَ القادياني ومبادئه، لأُنقِذت حياتك ولأُطلق سراحُك بعزة واحترام. فقال الشهيد: من المستحيل تماما أن أُنكر الصدق.. إن عذاب هذه الدنيا ينقطع بالموت ولكني أخاف مَن لا ينقطع عذابه أبدا، ولّما كنتُ على الحق، فإني أريد أن تُعقد مناظرة بيني وبين المشايخ الذين يعارضونني

في العقيدة، ولو ثبت كوني كاذبا بالأدلة يمكن أن تُنزل بي العقوبة. يقول رواة القصة: كنا موجودين أثناء هذا الحوار، وقد أُعجب الحاكم بهذا الكلام، وانتُخب "ملا خان ملا" وثمانية من المفتين للمناظرة في المسجد الملكي. وعُيِّن طبيبٌ من لاهور حكمًا، وكان نفسه معارضا جدا لكونه بنجابيًا. لقد اجتمع أناس كثيرون عند المناظرة، ويقول شهود عيان إن المناظرة كانت خطيَّةً فقط، وما قيل وما قُرئ شيء على الحضور، لذا لم نعرف شيئا عما دار فيها. وامتدت المناظرة من الساعة السابعة صباحا إلى الثالثة بعد الظهر. وحين أوشك وقت صلاة العصر على الانتهاء أُصدرت فتوى التكفير ضده. وفي نهاية المناظرة سئل الشهيدُ رحمه الله: إذا كان هذا المدعي القادياني هو المسيح الموعود فما قولك بعيسى عليه السلام، هل سيرجع إلى الدنيا ثانية أم لا؟ فأجاب بكل صمود إن عيسى عليه السلام قد مات ولن يعود، والقرآن الكريم يشهد على وفاته وعدم رجوعه. فشرع الحضور يسبونه مثل الكهنة الذين مزَّقوا ثيابهم حين سمعوا كلام عيسى عليه السلام، وقالوا: هل بقي أي شك الآن في كفر هذا الشخص؟ فكُتِبت فتوى التكفير في حالة غضب شديد. ثم أرسِل الشهيد المرحوم إلى السجن مكبَّلا بالسلاسل.

لقد أفلتَ مني بيانُ أنه حين كان النقاش يجري بينه وبين هؤلاء المشايخ الأشقياء، ظل ثمانية أشخاص واقفين إزاءه بسيوف مسلولة، ثم أرسِلت فتوى التكفير إلى الحاكم مساءً، ولكن المشايخ كادوا كيدا إذ تعمدوا عدم إرسال أوراق المناظرة إليه، و لم يُظهروا مضمونها على عامة الناس. وكان ذلك دليلا واضحا على أنهم لم يتمكنوا من الرد على الأدلة التي قدمها الشهيد على موقفه. ويا حسرة على الحاكم إذ صادَقَ على فتوى التكفير تلك و لم يطلب أوراق المناظرة، في حين كان عليه أن يخاف العادل الحقيقي ﷻ، الذي سيعود إليه قريبا، تاركا الحكومة والثروة كلها، وكان عليه أن يحضر المناظرة بنفسه، خصوصا أنه كان يعلم أن نتيجتها ستكون إزهاق روح شخص بريء، وكان من مقتضى خشية الله في هذه الحالة أن يحضر المجلس مهما كلّفه الأمر، وألا يجرِّم الشهيد المظلوم بغير وجه حق ودون إثبات جُرمه، ويكبده معاناة السجن والتصفيد في السلاسل إلى فترة، أو يرضخه تحت أثقال السلاسل والأصفاد، أو يوقف على رأسه ثمانية أشخاص بسيوف مسلولة، لمنعه بالترهيب من تقديم البينة على موقفه. وإن لم يقم بذلك، فكان من واجبه على الأقل أن يطلب أوراق المناظرة لكي يكون حكمه عادلا، بل كان عليه أن يأمر مسبقًا بإيصالها إليه. ثم كان من واجبه ألا يكتفي

بقراءتها بل يطبعها أيضا ليري الناس أن المتّهَم قد هُزم على يد المشايخ، و لم يستطع أن يثبت أن المدعي القادياني هو المسيح الموعود، و لم يُثبت بطلان الجهاد العدواني ولا وفاةَ عيسى عليه السلام.

فيا أسفا! قد ذُبح ذلك الولي البريء كالشاة أمام عينيه. ومُزِّق جسمه بالحجارة تمزيقا، واعتُقلت زوجه وأولاده الأيتام بالذلة والعذاب وسُجنوا في مكان آخر، مع أنه صادق وقدَّم حججا قاطعة وأظهر استقامة لا توهب لغير الأولياء.

فيا أيها الحاكم الغبي، أهكذا يكون عقاب اختلاف المذهب والرأي بين المسلمين؟ على أي نهج فكَّرتَ حتى سفكت هذا الدم؟ كم من طوائف مختلفة تعيش في ظل الحكومة الإنجليزية التي هي حكومة كافرة في نظر هذا الحاكم ومشايخه، فهل حدث مرة أن أعدمَتْ مسلما أو هندوسيا بجريمة أنهم يخالفون القساوسة في الرأي والعقيدة؟

فيا أسفا! لقد ارتُكب تحت أديم السماء ظلمٌ عظيم، إذ قُتل دون رحمة شخص بريء لمجرد الاختلاف في الدين، مع كونه على صدقه وكونه من أهل الحق، وتحليه بالتقوى والطهارة بشهادة أشراف الناس. إن ذلك الحاكم الذي اعتقل المسيح، أي بيلاطوس الذي ذكره لا يزال موجودا إلى اليوم في الأناجيل، كان أفضل بآلاف

المرات من هذا الحاكم، لأن كهنة اليهود حين أصدروا فتوى التكفير ضد المسيح وطلبوا من بيلاطوس صلبه رد عليهم قائلا: لا أرى عليه أي ذنب.

ليت هذا الحاكم سأل مشايخه: على أي نوع من الكفر أصدرتم فتوى الرجم؟ ولماذا عُدَّ هذا الاختلافُ كفرا؟ ولماذا لم يُقَل لهم بأن هناك اختلافات كبيرة بين فِرقكم أنتم أيضا، فهل يجوز في هذه الحالة أن تُرجَم الفِرق كلها إلا واحدة منها؟ لا أدري ماذا عسى هذا الحاكم الذي تصرف بهذه الطريقة أن يجيب أمام الله.

ثم أرسِل الشهيد المرحوم إلى السجن بعد أن أُصدِرت ضده فتوى التكفير، وفي صباح يوم الاثنين استُدعِي إلى ديوان الحاكم الخاص، وكان الجمع غفيرًا عندها أيضا. وحين خرج الحاكم من الحصن، كان الشهيد المرحوم جالسا في الطريق، فمر الحاكم من قربه وسأله: ماذا قررتَ يا أخوندزاده المحترم؟ فلم يرد عليه الشهيد، لأنه كان يعرف أن هؤلاءِ عقدوا العزم على الظلم. فقال أحد رجال الشرطة: قد أُدين بفتوى التكفير! ثم حين حضر الحاكم الجلسةَ دعا أخوندزاده المحترم فور حضوره الجلسةَ وقال له: قد أصدِرت فتوى التكفير ضدك، فقل الآن هل تفضل الارتداد عن عقيدتك أو العقوبة؟ فرفض الشهيد بكلمات صريحة وقال: لا أستطيع أن أرتد

عن الحق. هل أقبل الباطل خوفا من الموت؟ لا أستطيع أن أفعل هذا. فطلب منه الحاكم مرة أخرى أن يترك عقيدته ووعده بالعفو والإغراءات الأخرى في حال ارتداده. ولكن الشهيد رفض ذلك بشدة وقال: لا تتوقع مني أن أحيد عن الحق. يقول الرواة: إن هذه الأمور ليست من قبيل أحاديث الناس أو الأقوال المنقولة عنهم، بل كنا موجودين في ذلك الجمع الكبير؛ وكان الشهيد يرفض بشدة في كل مرة كل محاولة لإقناعه، وكان قد أخذ قرارا حاسما أن يضحي بنفسه في هذا السبيل. وقال أيضًا: إني سوف أُحيا بعد قتلي بستة أيام.

أقول: قد يكون قوله هذا مبنيا على وحي تلقاه عندئذ، لأنه كان قد دخل في ذلك الحين في زمرة المنقطعين إلى الله تعالى. وكان المراد من قوله إن الحياة التي توهَب للأولياء والأبدال، سوف توهب لي في ستة أيام، وسأُحيا قبل أن يطلع يوم الله، أي اليوم السابع.

واعلموا أن أولياء الله وغيرهم من الخواص الذين يُستشهَدون في سبيل الله، يُحيَون بعد بضعة أيام كما يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ◈، فإلى هذا المقام أشار الشهيد المرحوم في قوله المذكور. ولقد رأيت في

◈ آل عمران: ١٧٠

الكشف أن غصنا أخضر طويلا وجميلا جدا من شجرة السَّرْو في حديقتنا قد قُطع، وكان في يد شخص؛ فقال أحد الناس: ازرعوا هذا الغصن في أرض قريبة من بيتي عند السدرة التي قُطعت من قبل، فستنمو مرة أخرى. وفي ذلك الحين تلقيتُ وحيا *بالأردية، معناه:* "قُطع من كابول وجاءنا للتو". ففسرت هذا الوحي بأن دم الشهيد قد وقع على الأرض كبذرة، وستثمر هذه البذرة كثيرا وتتسبب في ازدياد جماعتنا. لقد رأيت أنا هذا المنام من ناحية، ومن ناحية أخرى قال الشهيد: "إني سأُحيا - *بعد قتلي* - بستة أيام" وإن لِرؤيايَ ولرؤيا الشهيد نتيجة واحدة. لقد ترك الشهيد بوفاته نموذجًا لجماعتي، والحق أن جماعتي كانت بحاجة إلى أسوة عظيمة؛ إذ ما زال في الجماعة أناس إذا قام أحدهم بخدمة بسيطة، ظن أنه قام بعمل عظيم، وكاد أن يمنَّ عليّ، مع أن المنَّة لله عليه أن وفَّقه تعالى لتلك الخدمة، وبعضهم لم يأتوني بكل قوة وصدق. ولا يستطيع البعض أن يَثبُت إلى النهاية على القوة الإيمانية والصدق والصفاء الكبير الذي يدّعونه، ويتركون الدين يفلت من أيديهم لحبهم الدنيا، ولا يستطيعون أن يتحملوا أدنى ابتلاء أو امتحان، ولا يفتر حبهم للدنيا مع دخولهم في جماعة الله. ولكن أشكر الله تعالى ألف ألف شكر إذ يوجد أيضا في الجماعة أناس آمنوا بصدق القلب واختاروا هذا

السبيل بإخلاص النية، وهم مستعدون لتحمُّل أية صعوبة في هـــذا السبيل. أما الأسوة التي أظهرها هذا البطل، فإن القوى التي توازيها في أفراد الجماعة لا تزال خافية. أدعو الله تعالى أن يهب الجميعَ ذلك الإيمان والصمود اللذينِ قدم هذا الشهيد نموذجا لهمـــا. إن الحيـــاة الدنيوية المقرونة بهجمات الشيطان تمنع الإنـــسان مـــن أن يكـــون كاملا. لا شك أن الكثيرين سيدخلون هذه الجماعة، ولكـــن مـــع الأسف قليل منهم مَن سيُظهرُ هذا النموذج.

أعود إلى وقائع الحادث وأقول: عندما رفض الشهيد المحـــاولات المتكررة لإقناعه بالتراجع عن عقيدته، يئس منه الحاكم وأمسك بيده ورقةً عريضة وسجل فيها فتوى المشايخ، فكتب: إن عقوبة كـــافر مثله هي الرجم. ثم علِّقت الفتوى في عنق الأخوندزاده المحترم، وأمر الحاكم أن يُثقَب أنف الشهيد ويوضَع فيه حبلٌ ويوصَل إلى مكـــان الرجم جرًّا بالحبل. فبأمر من الحاكم الغاشم ثُقِب أنـــف الـــشهيد المرحوم ووُضع فيه حبل بتعذيب شديد، وجرُّوه إلى مكان الـــرجم بكثير من السخرية والاستهزاء واللعن. ووصل الحاكم أيـــضا مـــع حاشيته والقضاة والمفتين والموظفين إلى مكان الرجم وهو يـــشاهد المشهد. وذهب الناس أيضا بالآلاف ليشهدوا الحدث حتى استحال إحصاؤهم لكثرة عددهم. وحين وصلوا بالشهيد المرحوم إلى مكان

الرجم، ثبتوه واقفًا في حفرة إلى مستوى ظهره، وبعد ذلك ذهب إليه الحاكم وقال: لو أنكرتَ هذا القادياني الذي يدعي أنه المسيح الموعود لأنقذتك الآن. وقال أيضا بأن هذه هي لحظاتك الأخيرة وهي الفرصة الأخيرة التي تعطاها فارحم نفسَك وأهلك. فرد الشهيد المرحوم قائلا: أعوذ بالله، كيف يمكن إنكار الحق؟ ما حقيقة الحياة، وما حقيقة الأهل والأولاد حتى أتخلى عن الإيمان من أجلهم؟ لا يسعني فعل ذلك أبدا، بل سأموت من أجل الحق والصدق. عندها أثار القضاة والفقهاء ضجة وصرخوا: إنه لكافر، إنه لكافر فارجموه فورا. كان الحاكم وأخوه نصر الله خان والقاضي وشخص آخر اسمه "عبد الأحد كميدان" ركبانا عندها، أما بقية الناس فكانوا مترجّلين. وحين أعلن الشهيد في هذه الحالة الخطيرة أنني سأقدم الدين على الحياة أمر الحاكمُ القاضيَ أن يرميَ الحجر الأول لأنه هو مَن أصدر فتوى التكفير. أجابه القاضي قائلا: أنت حاكم الوقت فارْمِ أنت أولا. قال الحاكم: بل أنت الحاكم من حيث الشريعة وأنت صاحب الفتوى ولا دخل لي في ذلك. فترجّل القاضي ورمى بحجر أصاب الشهيد بجرح بالغ فانحنى عنقه. وبعد ذلك أطلق الحاكم الشقي حجرا بيده، ثم انهالت عليه الأحجار بالآلاف بعد

الحاكم، ولم يكن من الحضور من لم يرمِ بحجر حتى تراكمت كومة كبيرة من الأحجار حول رأس الشهيد.

ثم قال الحاكم عند العودة مشيرا إلى الشهيد: كان هذا الشخص يقول بأني سوف أُحيَا بعد ستة أيام، فاحرسوه إلى ستة أيام.

لقد رُوي أن هذا الظلم أي الرجم قد وقع بتاريخ ٤ يوليو/تموز. وإن الجزء الأكبر من الحادث قد رواه أناس كانوا لجماعتنا من المعارضين وأقروا بأنهم أيضا رموا الشهيد بالأحجار، وكان بعض الرواة من تلاميذ الشهيد سرًا. ويبدو أن الحادث كان أكثر ألما مما رُوي، لأنه لم يبين أحد ظلم الحاكم بكامله. وكل ما كتبناه هنا إنما هو تلخيص من رسائل كثيرة. لا شك أن القصص فيها مبالغة في معظم الأحيان، لكن هذه هي القصة الوحيدة التي لم يبين الناس فيها مدى الظلم الذي ارتكبه الحاكم لخوفهم منه، بل تعمدوا كتمان الحقيقة.

إن الشهادة التي كانت مقدّرة لصاحبزاده عبد اللطيف قد تحققت، وبقي الآن أن ينال الظالم جزاءه: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾*. ومع الأسف أن الحاكم قد وضع نفسه تحت طائلة الآية القائلة: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

* طه: ٧٥

مُّتَعَمِّدًا...﴾[*]، وما خاف الله أدنى خوف، فقد قتل مؤمنًا لو بحثوا عن مثيله في كل أفغانستان لتعذر عليهم إيجاده؛ فقد كان من الذين هم كالإكسير الأحمر[**] ويضحون بأرواحهم بكل إخلاص وصدق القلب في سبيل الحق والإيمان ولا يأبهون للأهل والأولاد.

يا عبد اللطيف! عليك ألف ألف رحمة، فإنك قد برهنتَ على صدقك أثناء حياتي، ولا أدري ماذا سيفعل أفراد جماعتي الذين سيأتون من بعدي.

(فيما يلي ترجمة عربية لأبيات نظمها عليه السلام باللغة الفارسية)

"ذلك الفتى، وحبيب الله قد كشف حقيقة معدنه

بذل حياته في سبيل الحبيب، وتبرأَ بقلبه من هذه الدار الفانية

إن فلاة هذه الحياة مليئة بالأهوال، فهناك آلاف الأفاعي في شتى الجهات

وآلاف النيران المشتعلة تصل إلى السماء، وآلاف السيول الجارفة

وإلى دار الحبيب آلاف الفراسخ، وآلاف الغابات الشائكة والبلايا

---

[*] *النساء: ٩٤*

[**] *"الإكسير الأحمر" تعبير معروف في اللغة الأردية، والمراد منه أولياء الله وأحباؤه الذين هم بمنزلة بلسمٍ أو ترياقٍ أو رقيةٍ لبني جلدتهم، وبوجودهم يُحفَظ الناس من البلايا والآفات. (المترجم)*

ولكن انظرْ إلى شجاعة شيخ العجم هذا، إذ قطع هـــذه الفـــلاة بقفزة واحدة

كذلك يكون مسلك مَن كان عبدا لله، فيقدم رأسه من أجـــل حبيبه ﷻ

قد أفنى هذا الشيخ نفسه من أجل حبيبه ﷻ وتجرع السمّ مبتغيًا الترياق

ما لم يشرب الإنسان الضعيف جام السم، أنّى له أن يتحرر مـــن ربقة الموت؟

تحت الموت تكمن مئات أنواع الحياة، فإذا كنتَ تريـــد الحيـــاة فاشرب كأس الممات

وما دمتَ أسير الأطماع والأهواء، فأنّى لقلبك الوضيع أن يتمنى هذه الأمنية!

لقد علّقتَ قلبك بهذه الدنيا الدنيّة، وفقدتَ شرفك بـــالتورط في الذنوب والآثام

يلاحقك آلاف من جنود الشيطان، ليحرقوك في جهنم كالهشيم

ربما ينقلب إيمانك رأسا على عقب، بسبب الأمل أو الخوف

إنك تطأ دين الله تعالى تحت أقدامك من أجل هذه الدنيا الفانية

الدين الحقيقي: دين شخص يضحي بحياته لحبيبه، فما علاقتك بالدين يا أسوَد الباطن؟

أنت سافل، فلا تتبجَّجْ كثيرا، ولا تــمُدّنّ قدميك إلى خارج ثيابك

ظننت نفسك صالحًا، هداك الله على سوء ظنك

إن ذلك الحبيب لا يرضى بالقيل والقال، وإن نوال الحياة مستحيل، ما لم تقبل بالممات

اتْرك الكِبر والعداوة يا سيئ الخصال لينـــزل عليك نور الله ذي الجلال

لماذا تطير عاليا هكذا؟ لعلك تنكر ذات الله الواحد

هل تظن أن قَصْر الدنيا ذو أساس متين حتى صرتَ مغرورًا بهذه الدنيا الفانية؟

أنّى للعاقل أن يعلِّق بها قلبه، وهو يعلم أنه هاجرُها بغتةً يوما ما!

أمارات الأشقياءِ: قطعهم صلتهم بالله ﷻ من أجل الدنيا الفانية

إذا كانت رحمة الله حليفة أحد، فلا يطيب له المقام في الدنيا أبدا

بل تروق له الصحاري الحارقة، ليتضرع فيها أمام حبيبه ﷻ

العارف بالله يموت قبل موته، لعِلمِه أن أساس الدنيا ليس بمتين

اعلم أن الدنيا دار فانية، فكُن لله تعالى، لأن الله هو الباقي إلى الأبد

إذا تجرعت سما زعافا بيدك، فكيف أقول إنك ذو عقل سليم

انظر كيف أفنى هذا الرجل الطاهر، عبد اللطيف، كل شيء في سبيل الله تعالى

إذ ضحّى بحياته في سبيل حبيبه بصدق، وبقي مدفونا تحت الحجارة

هذا هو سبيل الصدق والوفاء، وهذه هي ميزة عباد الله الأطهار

فقد أفنوا أنفسهم من أجل ذلك الإله الحي، وضحّوا بحياتهم في سبيل الله

وتخلَّوا عن عزّهم ومجدهم وجاههم، وقدّموا قلوبهم على أكُفّهم من أجله ﷻ ووضعوا عن رؤوسهم عمائمهم

انفصَلوا عن نفوسهم وتعلقوا بأهداب الحبيب، وضحّوا بالرفعة، لجمال وجهه

إن الحديث عنهم يذكِّر بالله تعالى، وهم الأوفياء في حضرة الكبرياء

إذا كنت باحثا: فاعلم أن هذا هو الإيمان الحقيقي، فيسهل الأمر على الباحثين ولكنك أسير حب الدنيا،

وما لم تمت، فكيف تنال النجاة من هذه القضية؟ كيف يمكن أن تفوز بذلك الحبيب ما لم تمت،

يا كلبُ.. يا عبد الدنيا، افنِ نفسك تنـــزل عليك رحمة الله،
وضحِّ بنفسك تنلْ حياة أخرى

إنك تقضي حياتك في الكِبرياء والضغينة، مغمضا عينيك عـــن الصدق واليقين

صاحب القلب التقي بالأتقياء يتعلق، ولكن الطالح على الجواهر يبصق

إنما الدين بَذْرُ بذرةِ الفناء، أو التخلي المطلق عن الحياة

إن سقَطْتَ نتيجة مئات الآلام والصرخات، هَبَّ مِن الناس مـــن يأخذ بيدك

إن قلب العارف من أجل الجاهل يقلق ويضطرب، والمبصرون يرحمون العميان

لقد جرت سنة الله أن الأقويـــاءَ يتـــذكّرون الـــضعفاءَ دائمـــا ليساعدوهم وقت الضرورة".

نصائح لجماعتي

يا مَن كنتم من جماعتي، كان الله معكم، وأعَدَّكم القادر الكريم لسفر الآخرة كما أُعِدَّ أصحابُ النبي الأكرم ﷺ. اعلموا جيدا أن الدنيا ليست بشيء، وملعونة تلك الحياة التي هي من أجل الدنيا فقط، وشقي ذلك الشخص الذي يكون كل همه وغمه من أجلها. إن شخصا كهذا ليس من جماعتي قط، وإنما ينسب نفسه إليها عبثا، فهو كغصن جاف لن يثمر.

أيها السعداء، انكبّوا على التعليم الذي أُعطِيته من أجل نجاتكم، اتخذوا الله واحدا لا شريك له ولا تشركوا به شيئا لا في السماءِ ولا في الأرض. لا أمنعكم من الأخذ بالأسباب، ولكنه مشرك مَن يهجر الله تعالى ويعتمد على الأسباب فقط. لقد قال الله تعالى منذ القِدم أنْ لا نجاة دون صفاءِ القلب، فكونوا أصفياءَ القلوب وتخلّوا عن الضغائن والغضب. في نفس الإنسان الأمارة أنواع عدة من النجاسة، ولكن أسوأها نجاسة الكبر. لولا الكبر لما بقي أحد كافرا، فكونوا متواضعين، وواسُوا بني البشر بشكل عام. إنكم تعظونهم للفوز بالجنة، ولكن كيف تكون موعظتكم في محلها ما لم تكونوا

لهم من الناصحين في هذه الدنيا الفانية. اعملوا بفرائض الله بخشية قلبية، لأنكم ستُسألون عنها. أكثروا من الدعاء في الصلوات ليجذبكم الله إليه ويطهِّر قلوبكم، لأن الإنسان ضعيف، ولا يمكن أن يتخلص من أية سيئة إلا بقوة من الله تعالى، وما لم ينل الإنسان قوةً من الله، فلا يقدر على التخلص من السيئة. ليس المراد من الإسلام أن يُقال عن أحدٍ إنه ينطق بكلمة الشهادة عادةً فقط، بل حقيقة الإسلام أن تخِرَّ أرواحكم على عتبة الله تعالى، وأن تقدموه سبحانه وتعالى وأوامره على دنياكم في كل أمر.

يا أبناء جماعتي الأعزاء، اعلموا يقينا أن الدهر قد وصل منتهاه، وأن انقلابا صريحا قد وقع، فلا تخدعوا أنفسكم، وسارعوا لتكونوا كاملين في التقوى. اتخذوا القرآن الكريم مقتدى لكم واستنيروا به في كل أمر، ولكن لا تنبذوا الأحاديث أيضا كالمهملات، لأنها أيضا مهمة جدا، وقد جُمعت ذخائرها ببذل مجهودات كبيرة، ولكن إذا خالفت قصةٌ من قصص الأحاديث قصص القرآن، فاتركوا ذلك الحديث حتى لا تضلوا. إن الله تعالى قد أوصل إليكم القرآن الكريم بصورة محفوظة، فقدِّروا هذا الكلام المقدس حق قدره، ولا تقدموا عليه شيئا، لأن كل نوع من الحق والصدق يوجد فيه. يزداد تأثير

الكلام في قلوب الناس كلما ازدادوا تأكدا مـــن معرفـــة صـــاحبه وتقواه.

لقد أتم الله حجته عليكم بحيث أقام على دعواي آلاف الأدلـــة، ووهب لكم فرصة لتتدبروا في معرفة شخص يـــدعوكم إلى هـــذه الجماعة، ولتفكروا في كمّ الأدلة التي يقدمها.

إنَّكم لَعَمري لا يمكنكم أنْ تتـــهموني بكذب أو افتراء أو خداع حتى في أوائل حياتي بينكم، فتحسبوا أنّ مَن كان شأنـــه الكـــذب والافتراء فلا يُستبعد أنْ يكون قد اختلق هذا الأمر من عنده. فهـــل مِنكم من أحد يستطيع أن ينتقد شيئًا من شؤون حياتي؟ وذلك فضل منـــه ﷻ أنَّـــه أقامني على التقوى منذ نعومـــة أظفـــاري، وإن في ذلك لآية للمتفكرين.

وأضف إلى ذلك أن ربي قد بعثني على رأس القرن تماما، وهيـــأ لكم جميع الحجج والبراهين التي كانت ضرورية للإيمان بـــصدقي، وأظهر لي آيات من السماء والأرض. وقد تنبأ عني الأنبياء جميعا منذ البداية إلى الآن، فلو كان الأمر من صنع الإنسان لما اجتمعت الأدلة بهذا الكم قط.

كما أنّ كتُب الله كلها تشهد أن الله تعالى يـــبطش بـــالمفتري سريعا، ويهلكه بالذلة والهوان. ولكنكم ترون أنني قد أعلنت أني من

الله قبل أكثر من ٢٣ عاما، الأمر الذي يمكن أن تتأكدوا من صحته بإلقاء نظرة على كتابي "البراهين الأحمدية". فكل عاقل يستطيع أن يدرك إذا كان من سنة الله في وقت من الأوقات أو سبق لله منذ أن خلق الإنسان، أن يكون هناك شخص سيئ الطويّة والأدب وخدّاع ومفترٍ يفتري على الله ويختلق من عند نفسه إلهاما جديدا ووحيا جديدا كلَّ يوم وليلة، ثم يقول للناس إنه وحي نزل علي من الله تعالى، ثم لا يهلكه الله، بل يؤيده بآياته القاهرة، إذ يجعل الشمس والقمر ينكسفان تصديقا لدعواه كما ورد في النبوءة، فيحقق الله تعالى أمام العالم النبوءةَ الواردة في الكتب السابقة والقرآن الكريم والأحاديث الشريفة وفي كتاب المدعي نفسه "البراهين الأحمدية"، ويبعثه مثل الصادقين على رأس القرن تماما، ويقيمه في وقت غلبة الصليب حين كان من المفروض أن يأتي المسيح الموعود، كاسر الصليب، ويأمره بإعلان دعواه، ثم يؤيده في كل خطوة ويُظهر مئة ألف آية تأييدا له، ويهبه احتراما في الدنيا وينشر قبوله في الأرض ويحقق في حقه مئات الأنباء، ويخلقه في أيام حددها الأنبياء لظهور المسيح الموعود، ويستجيب أدعيته ويضع في كلامه تأثيرا خارقا ويؤيده من كل ناحية، وذلك مع أنه سبحانه وتعالى يعلم أنه كاذب ويفتري

عليه بغير وجه حق. فهل لكم أن تخبروني إذا كان الله قد عامل أحدا من المفترين بهذا اللطف والإحسان قبل بعثتي؟

فيا عباد الله، لا تغفلوا، ولا يوقعنَّكم الشيطان في الوساوس. اعلموا يقينا أنه قد تحقق لكم وعدٌ ظلَّ أنبياء الله الأطهار يعِدونكم به. واليوم قد اندلعت حرب أخيرة بين مرسَل من الله وبين الشيطان. وهذا هو الوقت نفسه والزمن نفسه الذي أشار إليه النبي دانيال* أيضا.

لقد جئت إلى أهل الحق فضلًا من الله، وقد استُهزئ بي وكفِّرتُ واعتُبرتُ دجالا ومن الذين لا يؤمنون. وكان من المقدر أن يكون كذلك بالتمام لتتحقق النبوءة الكامنة في ﴿غير المغضوب عليهم﴾ لأن الله تعالى قد أخبر من خلال وعده في هذه الآية أنه سيكون في الأمة يهودا أيضا وسيشبهون علماء اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى عليه السلام على الصليب، وسموه كافرا ودجالا. فتفكروا الآن إلى ما أُشير إليه هنا. الواضح أن الإشارة أن المسيح الموعود سيأتي من هذه الأمة فيُخلَق في زمنه أناس يزعمون أنهم علماء وهُم كاليهود؛ وقد تحققت تلك النبوءة في بلادكم. ولولا هؤلاء العلماء لقبلني جميع المسلمين القاطنين في هذه البلاد، أما الآن فإن إثم جميع

* *دانِيال ۱۲: ۱- ۱۲. (المترجم)*

المنكرين في عنق هؤلاء. إنهم لا يدخلون في الصدق ولا يتركون غيرهم من قليلي الفهم ليدخلوا. فهل من مكر سيئ لم يمكروا به، وهل من مكيدة لم تُنسجْ في بيوتهم سرا؟ ولكن هل لهم أن يغلبوا الله؟ أو هل يقدرون على أن يردوا مشيئة الله القادر التي ظهرت على لسان جميع الأنبياء؟ إنهم يعتمدون على الأغنياء الأشرار والأثرياء الأشقياء وأهل الدنيا في هذا البلد، ولكن ما حقيقتهم في نظر الله تعالى؟ ليسوا إلا ديدانا ميتة!

اسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه لمما أنبأ به خالقُ السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في البلاد كلها، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان. ولسوف تأتي أيام، وهي قريبة، تكون فيها هذه الجماعة هي الوحيدة التي تُذكَر في العالم بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك في هذه الجماعة والدعوة بركاتٍ كبرى خارقة للعادة، ويخيِّب كلَّ من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فإذا كانوا يستهزئون بي فلا ضرر من استهزائهم، لأنه ما من نبي إلا وقد استُهزئ به. فكان من المقدر أن يُستهزَأ بالمسيح الموعود أيضا، كما

يقول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[٥]

فقد جعل الله تعالى علامة لكل نبي صادق أن يُستهزَأ به، ولكن مَن يستهزئ بالذي ينـزل من السماء مع ملَكينِ أمام أعين الناس جميعا؟ فالعاقل يستطيع أن يفهم بهذا الدليل وحده أن فكرة نـزول المسيح الموعود من السماء فكرةٌ باطلة تماما. اعلموا جيدًا أنه لن ينـزل من السماء أحدٌ. إن جميع معارضينا الموجودين اليوم سوف يموتون، ولن يرى أحد منهم عيسى بن مريم نازلًا من السماء أبدًا، ثم يسود قلوبهم القلق، فيظنون أن أولادهم الذين يخلفونهم سيرونه نازلا، ولكن لن يرى أحد منهم أيضًا عيسى بن مريم نازلًا من السماء، ثم يموت أولاد أولادهم، ولكنهم أيضًا لن يروا ابن مريم نازلًا من السماء. وعندئذ سوف يُلقي الله في قلوبهم أن أيام غلبة الصليب قد انقضت، وأن العالم قد تغيَّر تمامًا، ومع ذلك فإن عيسى بن مريم لم ينـزل بعد؛ فحينئذ سينفر العقلاء من هذه العقيدة دفعةً واحدة، ولن ينتهي القرن الثالث من هذا اليوم إلا ويستولي اليأسُ والقنوط الشديدان على كل من ينتظر عيسى، سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا، فيرفضون هذه العقيدة الباطلة؛ وسيكون في العالم دين

---

[٥] يس: ٣١

واحد وسيد واحد*. إنني ما جئت إلا لأزرع بذرةً، فقد زُرِعتْ هذه البذرة بيدي، والآن سوف تنمو وتزدهر، ولن يقدر على عرقلتها أحد.

ولا تظنوا أن الآريا الهندوس - أي أتباع مذهب "ديانند"- شيء يُذكر، إن مثلهم كمثل زُنْبورٍ لا يقدر إلا على اللسع. لا يدرون ما التوحيد، وهم من الروحانية محرومون. ليس لهم شغل إلا البحث عن عيوب الآخرين، وسبُّ رسُل الله. إن مبلغ كمالهم جمع الاعتراضات من جراء وساوس الشيطان، ولا توجد فيهم روح التقوى والطهارة.

اعلموا أنه لا بقاء لدين ولا حقيقة له بدون الروحانية. والدين الذي لا روحانية فيه، أو الذي يخلو من المكالمة مع الله، أو يخلو من روح الصدق والصفاء، أو الذي ليس فيه جذبٌ سماوي، ولا يقدر على إحداث تغيير فوق العادة إنما هو دين ميت فلا تخافوه. سيكون مئات بل مئات الآلاف بل الملايين منكم على قيد الحياة حين يرون هذا الدين منقرضا؛ لأن هذا الدين، دين الآريا، دين أرضي وليس دينا سماويا، ولا يقدم إلا أمورا دنيوية ليس لها علاقة مع السماء.

---

* *أي محمد المصطفى ﷺ. (المترجم)*

فافرحوا، واقفزوا فرحا وسعادة على أن إلهكم معكم. ولو استمسكتم بالحق والإيمان لعلّمتكم الملائكة، ولنزلت عليكم السكينة من السماء، ولأُيدتم بروح القدس، ولكان الله تعالى معكم في كل خطوة تخطونها، ولَما استطاع أحد أن يتغلب عليكم. فانتظروا فضل الله تعالى بصبر وثبات. استمعوا إلى الشتائم وكونوا صامتين. تحملوا الضرب والتعذيب وكونوا صابرين. وتجنبوا على قدر الإمكان مقاومة الشر بالشر حتى تكتبوا في السماء من المقبولين. تذكروا جيدا أن الذين يخافون الله والذين تذوب قلوبهم بخشية الله، يكون الله معهم، ويعادي مَن عاداهم. الدنيا لا ترى الصادق، ولكن الله العليم الخبير يراه فينقذه بيده. ألا تحبون شخصا يحبكم بصدق القلب، ويكون مستعدا ليموت مِن أجلكم، ويطيعكم في كل شيء كما ترغبون، ويهجر كل شيء مِن أجلكم؟ أَلا تعتبرونه أعزَّ عليكم من الجميع؟ فما دمتم تبدون الحب مقابل الحب، فكيف لا يبديه الله ﷻ؟ إن الله تعالى يعلم جيدا مَن هو وليّه ووفيّ له، ومن هو خائن يُقدّم الدنيا؛ فلو أصبحتم أوفياء له، لجعلت يد الله فرقًا بينكم وبين غيركم.

ذكـــرُ

النبوءتين المذكورتين

في الصفحتين ٥١٠ و ٥١١

من كتاب "البراهين الأحمدية"

أي النبوءة المتعلقة باستشهاد الصاحبزاده المولوي محمد عبد اللطيف وميان عبد الرحمن، والنبوءة المتعلقة بعصمتي وحمايتي

ليكن معلوما أنه قد وردت في الصفحتين ٥١٠ و٥١١ من كتاب "البراهين الأحمدية" النبوءات التالية:

"وإن لم يعصمك الناس، يعصمك الله من عنده. يعصمك الله من عنده وإن لم يعصمك الناس، شاتان تُذبحان. وكل مَن عليها فانٍ. ولا تهنوا ولا تحزنوا. أليس الله بكاف عبده. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. وفى الله أجرك.

ويرضى عنك ربك. وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون".

أي أن الله تعالى سيحفظك من القتل وإن لم يحفظك الناس. ليحفظنَّك الله من القتل وإن لم يحفظك الناس. ففي ذلك إشارة إلى أن الناس سيسعون ليقتلوك سواء بأنفسهم أو بخداع الحكومة، ولكن الله تعالى سيخيِّبهم في جميع مكائدهم، ولقد قدّر الله ذلك، فمن سنّته أن هناك نوعين من الرسل لا يُقتلون، وإن كان القتل يُنيل المؤمن مرتبة الشهادة:

(١) الأنبياء الذين يأتون في بداية السلسلة، كمجيء موسى عليه السلام في بداية السلسلة الموسوية، وسيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ في بداية السلسلة المحمدية.

(٢) الأنبياء والمبعوثون الذين يأتون في نهاية السلسلة، مثل مجيء عيسى عليه السلام ومجيئي أنا.

والسر في ذلك - وإذ وردت في القرآن الكريم بشارة عن النبي ﷺ بقوله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ﴾، كذلك وردت في وحي الله الذي نزل عليّ بشارة لي بقوله: "يعصمك الله"- أن عصمة المرسَل في بداية هذه السلسلة ونهايتها كانت من مقتضى حكمة الله تعالى، لأنه لو استُشهد المرسَل في بداية السلسلة لوقع الناس في شبهات كثيرة،

وذلك لأنه يكون بمنـــزلة لَبِنة أولى لتلك السلسلة. فلو أُبيد أساسُ السلسلة في مهده لكان الابتلاء فوق احتمال الناس، ولوقعوا في الشبهات حتما، ولاعتبروا المؤسس مفتريا، والعياذ بالله؛ فمثلا لو قُتل موسى في نفس اليوم الذي مثُل فيه أمام فرعون، أو استُشهِد النبي ﷺ على يد الكفار في نفس اليوم الذي حاصروا فيه بيته لِقَتْله في مكة، لقُضي على الشريعة والإسلام في الحين، ولَمَا آمن بعد ذلك أحد. فبناء على هذه الحكمة لم يُستشهد موسى عليه السلام ولا نبينا ﷺ رغم آلاف الأعداء العطاشى لدمهما. ولو استُشهد المرسَل في نهاية السلسلة لكان ذلك وصمة خيبة وخسران في نظر الناس. في حين يريد الله تعالى أن تكون نهاية السلسلة على الفتح والانتصار، لأن الأمور بخواتيمها. ولم يرد الله قط أن يفرح العدو الملعون عند نهاية السلسلة، كما لم يرد أن تُكسَر اللبنةُ الأولى لأساس السلسلة فيقفز العدو الملعون فرحا. لذا فقد أنقذت الحكمة الإلهية عيسى عليه السلام المبعوث في نهاية السلسلة الموسوية من الموت على الصليب. ولقد تمت المحاولات لهذا الغرض في نهاية السلسلة المحمدية حين رُفعت ضدي قضية زائفة بتهمة القتل كي أُعلق على الصليب. ولكن رحمة الله تعالى تجلت على هذا المسيح بوضوح أكثر من المسيح الأول، وأنقذته من عقوبة الإعدام، بل من كل عقوبة أخرى.

فباختصار، إن المرسَلان في بداية السلسلة ونهايتها يكونان بمنـــزلة الجدارينِ أو السدَّينِ، لذا فقد جرت عادة الله أن يحفظهما من القتل.

مع أن الأشرار والخبثاء يبذلون كل ما في وسعهم لقتلهما، ولكن يد الله تعالى تكون معهما. يخطئ العدو الجاهل أحيانا ويقول في نفسه: ألستُ صالحا؟ ألست ملتزما بالصلاة والصوم؟ كذلك زعم الفريسيون وفقهاء اليهود، بل إن بعضهم في زمن عيسى عليه السلام كانوا يدّعون أنهم ملهَمون من الله أيضا. ولكن هذا الجاهل المعادي لا يعلم أن عباد الله الصادقين الذين لهم صلة متينة به سبحانه وتعالى يكونون مصبَّغين بصبغة الصدق والوفاء والحب الإلهي، فيكون الله تعالى معهم حتما ويهلك عدوهم. وقد قال "بلعام باعور" استكبارا بنفسه: هل موسى أفضل مني؟ ولكن موسى عليه السلام كان على صلة بربه تعجز الكلمات عن بيانها. لذا فإن "بلعام" - الأعمى روحانيا- جهل هذه الصلة، وهلك لتصديه للذي كان أكبر وأفضل منه بكثير.

فيحدث دائما أنْ يَصِل صدقُ أحباء الله الخواص وعباده الأوفياء مع الله تعالى إلى درجة لا يسع العميان من أهل الدنيا أن يدركوها؛ فيهُبُّ كل واحد من المشايخ وأصحاب الزوايا لمبارزتهم، ولكن تلك المبارزة لا تكون مع أحباء الله، بل تكون مع الله في الحقيقة. فكيف

يمكن أن يُهلك الله ﷻ - من أجل بعض الجهلاء والجبناء والناقصين، أو بعض المتنسكين عديمي الوفاء - شخصا بعثه لإنجاز مهمة عظيمة، ويريد ﷻ أن يُحدث على يده تغييرا عظيما في الدنيا؟ فلو اصطدمت سفينتان يركب إحداهما ملكٌ عادلٌ وكريم وسخي الطبع وذو فطرة سليمة مع أهله وحاشيته، ويركب في الثانية بعض الرعاع الأشرار الخسيسين الخبيثين، وكان من مقتضى الظروف أن تُنقَذ إحدى هاتين السفينتين فقط وتُغرق الثانية بكافة ركابها، فقولوا بالله عليكم ما الذي يجب فعله في مثل هذه المناسبة؟ أتُغرَق السفينة التي يركبها الملك العادل أم التي يركبها الأشرار والأنذال والخسيسون؟

أقول لكم صدقا وحقا بأن سفينة الملك هي التي ستُنقذ بكل عناية وحرص، وتُغرَق سفينة أولئك الأشرار الخبثاء الأنذال الصاغرين، وسيُهلَكون دون هوادة. بل إن هلاكهم سيكون مدعاة للسرور والحبور، وذلك لأن الدنيا بأمس الحاجة إلى ملك عادل، وإن هلاكه يُعتبر هلاك العالَم كله. أما لو هلك بعض الأنذال والصاغرين فلن يقع أي خلل في نظام العالم.

إذن، فسنة الله أنه لو بارز مرسَليه حزبُ المعاندين لأهلكهم ﷻ مهما ظنوا بأنفسهم، ومهما اعتبروا أنفسهم صلحاء. إن المعارضين

هم الذين يُهلَكون، لأن الله تعالى لا يريد أن يقضي على الهدف الذي من أجله بعث رسوله. ولو فعل ذلك لكان ﷻ بنفسه عدوا لما يهدف إليه؛ ومَن سيعبده في الأرض في هذه الحالة؟ إن الدنيا تنظر إلى الكثرة العددية، وتظن أن الحزب الأكبر عددا هو الأفضل. كذلك يظن الجاهل أن هؤلاء الناس يجتمعون في المساجد بالآلاف بل بمئات الآلاف، فهل يمكن أن يكونوا كاذبين؟ ولكن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة العدد بل ينظر إلى القلوب. إن عباد الله الخواص يملكون نورا خاصا للحب الإلهي والصدق والوفاء لو استطعتُ بيان تفاصيله لفعلتُ، وأنَّى لي أن أبيِّن ذلك، إذ لم يقدر على بيان ذلك السرِّ نبي أو رسول منذ أن خُلقت الدنيا! إن روح عباد الله الأوفياء تخر على عتبات الله، ولا أجد الكلمات لبيان كيفيتها.

والآن، بعد بيان بقية الترجمة،* أقول في نهاية هذا الموضوع: يقول الله تعالى: مع أنني سوف أحميك من القتل ولكن ستُذبح شاتان من جماعتك، أي سيُقتل من جماعتك شخصان مع أنهما بريئان وبدون أي ذنب. وهذا تعبير مستخدَم في كتب الله، إذ يُشبَّه

* *هنا سجّل حضرته عليه السلام الترجمة الأردية للإلهامات التي نقلها في بداية هذا الفصل ومنها: يعصمك الله من عنده وإن لم يعصمك الناس. شاتان تُذبحان، وكل مَن عليها فانٍ.. (المترجم)*

شخصٌ بريء وغير مذنب بالشاة أحيانا، وبالبقرة أحيانا أخرى؛ فلم يستخدم الله تعالى هنا كلمة "الإنسان" بل استخدم كلمة: "الشاة" لأن الشاة تمتاز بميزتين، فهي تعطي الحليب ويؤكل لحمها. وهذه النبوءة تتعلق بالشهيد المرحوم المولوي عبد اللطيف وتلميذه السيد عبد الرحمن التي تحققت بعد ٢٣ عاما بالضبط من تدوينها في كتابي "البراهين الأحمدية"، وإن مئات الآلاف بل الملايين من الناس كانوا قد قرؤوها حتى الآن في الصفحة ٥١١ منه. والواضح، كما قلتُ آنفا، أن من ميزات الشاة أنها تعطي الحليب ويؤكل لحمها، وقد تحققت هاتان الصفتان بشهادة المولوي عبد اللطيف؛ إذ قد هيأ الحليبَ للمعارضين عند المناظرة ببيان المعارف والحقائق من شتى الأنواع والأقسام، ولكن المعارضين الأشقياء لم يشربوا هذا الحليب بل نبذوه، ثم بتضحيته بنفسه قدم الشهيد المرحوم لحمه وأهرق دمه، ليأكل المعارضون هذا اللحم ويشربوا ذلك الدم حُبًّا له ورغبة فيه وليستفيدوا من تلك التضحية المقدسة، ولينظروا هل سبق أن قدم أحدهم تضحية مثلها من أجل مذهبهم وعقيدتهم التي مات عليها آباؤهم؟ وهل أبدى أحدهم صدقا وإخلاصا كهذا؟ وهل يمكن أن يقدم الإنسان تضحية مماثلة ما لم ير الله تعالى بعد أن يُملأ قلبُه

باليقين؟ لا شك أن دما كهذا الدم ولحما كهذا اللحم سيظل يدعو طلاب الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فباختصار، لما كان المولوي عبد اللطيف يشبه الشاة من منطلق هاتين الميزتين، وكذلك كان ميان عبد الرحمن، فقد ذُكرا بكلمة "شاتان". ولما كان الله تعالى يعلم أن محرر هذه الأسطر وجماعته، سوف يُصابون بصدمة شديدة بسبب هذا القتل بغير الحق، فقد عزّاني وطمأنَني بما تلا هذا الوحيَ مِن جُملٍ، وقد سجلتُها بالعربية قبل قليل ومفهومها كالآتي:

لا تحزن ولا تقلق لهذه المصيبة والصدمة الشديدة لأنهم إذا قتلوا رجُلين من جماعتك فإن الله معك وسيأتيك بقوم عوضًا عنهما، وهو كافٍ عبدَه. ألا تعلمون أن إلهكم قادر على كل شيء! إن الذين سيقتلون هذين المظلومَينِ سنأتي بك شهيدا عليهم يوم القيامة بما أذنبوا بقتلهما. وسيجزيك ربك ويرضى عنك، ويتم اسمك، أي اسمك "أحمد" الذي معناه: مَن يحمد الله كثيرا. ولا يحمد اللهَ كثيرا إلا الذي تنزل عليه أفضال الله وإنعاماته بكثرة، فالمراد منه أن الله تعالى سيمطر عليك أفضاله وإنعاماته بغزارة، فتحمده أكثر من الجميع، عندها يتحقق المراد من اسمك "أحمد". ثم قال تعالى: لا تحزن باستشهاد هذين الشهيدينِ ففي استشهادهما حكمة ربانية. وكم من

أمور ترغب في وقوعها ولا خير لك فيها، وكم من أمور تحب عدم وقوعها ولكنها خير لك، والله يعلم ما هو خير لك وأنت لا تعلم.

ولقد أوضح الله تعالى في هذا الوحي كله أن حادث قتل صاحبزاده عبد اللطيف، الذي تعرّض له بلا رحمة، حادثٌ تنخلع لسماعه القلوب، (وما رأينا ظلمًا أغيظَ مِن هذا)* ولكن هذه الدماء ستكون مصدرا للبركات الكثيرة التي سوف تظهر مع مرور الزمن. وسوف ترى أرض كابول أن هذه الدماء لا بد أن تؤتي ثمارها ولن تذهب هدرًا. لقد قُتل من قبل أيضًا أحدُ أفراد جماعتي ظلمًا، وهو الشاب المسكين عبد الرحمن، ولكن الله ظل صامتا. ولكنه لن يصمت الآن، ولسوف تظهر النتائج الوخيمة. وسمعنا أنه، بعد أن استشهد الشهيد المرحوم رشقا بألوف من الحجارة، قد انتشر فجأة في كابول وباء الكوليرا وأصاب عددا كبيرا من عِلية القوم، بمن فيهم أقارب الحاكم نفسه، فرحلوا عن هذا العالم. ولكن لم يقتصر الأمر على هذا الحد فحسب، وذلك لأن هذه الجريمة البشعة ارتُكِبَت بلا رحمة ولا شفقة، وبشكل ليس له تحت أديم

---

* *لقد أورد حضرة المسيح الموعود عليه السلام هذه الجملة العربية داخل النص الأردي، وهو يماثل قول الرسول ﷺ الذي قاله واقفًا على عمه حمزة رضي الله عنه بعد استشهاده: "ما وقفتُ موقفا أغيظ إليّ من هذا". (المترجم)*

السماء مثيل في هذا العصر. واأسفاه! أيُّ حماقة تلك التي ارتكبها هذا الحاكم!؟ لقد جرّ على نفسه الخراب والدمار بقتله إنسانا بريئا بلا رحمة. يا أرض أفغانستان، فلتشهدي على تلك الجريمة الشنيعة التي ارتُكبت فيك! يا أيتها الأرض التعِسَة، لقد سقطتِ من عين الله تعالى لأنك كنت مسرحا لهذا الظلم العظيم.

كرامة أخرى للشهيد المولوي عبد اللطيف

حين بدأت بتأليف هذا الكتاب كنت أنوي أن أكمله - قبل أن أسافر إلى مدينة غورداسبور بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٠٣م لمتابعة قضية جنائية رُفعت ضدي - وآخذه معي، ولكن اتفق أن أصبتُ بألم شديد في الكلية، فظننت أن هذا العمل سيظل دون تكميل لأنه لم يبق حتى سفري إلا بضعة أيام، ولو بقيتُ مصابا بألم الكلية - وهو مرض مهلك - لاستحال تأليفه. عندها وجّهني الله تعالى إلى الدعاء. وبعد مضي ثلاث ساعات بعد منتصف الليل قلت لأهل بيتي بأني سأدعو الآن فأمِّنوا، ففي تلك الحالة من الألم والحرقة دعوت الله تعالى واضعا الصاحبزاده المولوي عبد اللطيف في البال وقلتُ: يا ربي، كنت أودّ تأليفه من أجل هذا الشهيد. فغلبني النعاس وتلقيت إلهاما: "سلامٌ قولا مِن رَبٍّ رحيمٍ". فأحلف بالله الذي نفسي بيده أنه ما إنْ حانت الساعة السادسة صباحا حتى أصبحتُ سليما معافىً تماما، وألّفت زهاء نصف الكتاب في اليوم نفسه.

أمر مهم لانتباه جماعتي

مع أنني أعلم جيدا أن بعضا من أفراد جماعتي لا زالوا في حالة روحانية ضعيفة لدرجة يتعذر على بعضهم أن يثبتوا على عهودهم، ولكن عندما أنظر إلى الصمود والاستقامة التي ظهرت من الصاحبزاده المولوي عبد اللطيف يتقوى أملي بجماعتي كثيرا، لأن الله الذي وفّق بعض أفراد الجماعة ليضحوا بأرواحهم، ناهيك عن الأموال في هذا السبيل، يوضح أن مشيئته ﷻ الصريحة هي أن يخلق في هذه الجماعة أناسا كثيرين يتحلون بروح الصاحبزاده المولوي عبد اللطيف، ويكونون كغرسة حديثة للروحانية. علما أنني رأيت في الكشف بعد فترة قريبة من استشهاد المولوي عبد اللطيف أن غصنا عاليا لشجرة السرو قد قُطع من حديقتنا.● فقلت ازرعوه في

● قبل ذلك كنت قد تلقيت وحيا عن المولوي عبد اللطيف حين كان حيا يُرزق، بل كان موجودا في قاديان نفسها. وقد نُشر هذا الوحي الإلهي في مجلة إنجليزية عدد ٩ شباط عام ١٩٠٣م، وفي جريدة "الحَكَم" عدد ١٧ كانون الثاني عام ١٩٠٣م، وجريدة "البدر" العمود الثاني، عدد ١٦ كانون الثاني عام ١٩٠٣م. ويشير الوحي إلى مقتل المولوي المحترم ونصه كما يلي: "قُتل خيبة وزِيد هيبةً"، أي أنه قُتل في حالة ما أصغى إليه أحد، وإن مقتله كان أمرا مهيبا، أي بدى مهيبا للناس وترك تأثيرا كبيرا في القلوب. منه.

الأرض ثانية حتى ينمو ويزدهر. ففسرت الكشف المذكور أن الله تعالى سوف يخلق ويقيم مقامه أناسا كثيرين. وإنني على يقين أن تفسير كشفي هذا سيُكشَف في حين من الأحيان. غير أنني أخاف في الحالة الراهنة عندما أقدّم أمام الجماعة أمرا وإن كان بسيطا أن يُفتنوا بسببه.

والأمر المهم الذي أريد طرحه على جماعتي هو أن المساعدة التي تقدمها الجماعة بين حين وآخر لدار الضيافة جديرة بالإشادة، غير أن الجماعة في منطقة البنجاب تساهم فيها كثيرا. وسبب ذلك أن الإخوة من البنجاب يترددون عليّ بكثرة، ولو طرأت على القلوب قسوةٌ من جراء الغفلة لزالت تلك القسوة سريعا بسبب الصحبة واللقاءات المتتالية. لذا فإن الإخوة من البنجاب، ولا سيما البعض منهم، يظلون يتقدمون في الحب والصدق والإخلاص، فيبدون حماسا كبيرا كلما تطلبت الحاجة، وتبدو من قِبَلِهم آثار الطاعة الصادقة. ثم إن قلوب سكانها أكثر ليونة مقارنة مع سكان المناطق الأخرى. ولكن مع كل ذلك أجانفُ العدل لو اعتبرتُ أن المريدين الذين يسكنون في مناطق نائية لا يتحلون بالإخلاص والحماس، لأن الصاحبزاده المولوي عبداللطيف - على كونه يسكن أرضا بعيدة - أبدى نموذجا خارقا للتضحية بحيث يخجل أمام صدقه ووفائه

وإخلاصه وصموده كبار المخلصين من البنجاب؛ ولا بد من القول بأنه جاء متأخرا وسبق الجميع. وكذلك فإن كثيرا من المخلصين الذين يسكنون بعيدا قد قاموا بتضحيات مالية جسيمة، ولم يفتر صدقهم ووفاؤهم قط. ومنهم أخي المحترم عبد الرحمن، التاجر من مدينة "مدراس" وغيره. ولكني قدّمتُ بلاد البنجاب نظرا إلى كثرة عدد المضحين فيها، لأن الإخوة من كل شريحة من سكانها يساهمون في الخدمة الدينية كثيرا. أما الذين يسكنون بعيدا، ومع أن كثيرا منهم انضموا إلى جماعتنا، غير أن قلوبهم لم تتطهر بعدُ من شوائب الدنيا كليا، لأنهم لا يجدون فرَص الصحبة إلا قليلا. والظاهر أنهم إما سيتطهرون من الشوائب كليا في نهاية المطاف، أو سينبذهم الله من هذه الجماعة الطاهرة، ويموتون موت الخيبة والفشل. الخطأ الأكبر الذي يرتكبه الإنسان هو تكالبه على الدنيا. إن الدنيا الدنيّة والشقية توقِع معظم الناس في شراكها، تارةً بالترهيب وتارةً بالترغيب، فيموتون في تلك الحالة. يقول الجاهل: هل نهجر الدنيا؟ وإن هذا الخطأ لا يترك الإنسان ما لم يسلب إيمانه ويهلكه. فيا أيها الجاهل، مَن يقول لك أن تترك الأخذ بالأسباب؟ ولكن يجب أن تُبعد قلبك عن الدنيا وإغراءاتها، وإلا فأنت هالك لا محالة. إن أهلك وعيالك الذين تتعدى من أجلهم الحدود حتى تنسى واجبات الله وترتكب

كالشيطان شتى أنواع الخديعة والمكر، إنما تزرع لهم في الحقيقة بتصرفاتك هذه بذرة سيئة وتجلب لهم الدمار، لأنك لست في ملاذ الله لعدم تقواك. إن الله تعالى ينظر إلى قرارة قلبك، فستموت بغير وقت عابثا، وتجلب الهلاك لأهلك أيضا. أما من هو خاضع لله تعالى فسينال أهلُه وأولاده أيضا نصيبا من سعادته، ولن يهلكوا بعد موته.

والذين هم مخلصون لي - وإن كانوا يسكنون على بُعد آلاف الأميال- يكتبون لي ويدعون دائما أن يهبهم الله فرصة لينالوا بركات الصحبة. ولكن الأسف كل الأسف! أن هناك آخرين لا أتلقى منهم رسالة منذ سنوات، ودونك اللقاء. ومن هنا أفهم أن قلوبهم قد ماتت، وأن على باطنهم نقطة الجذام. إنني أدعو كثيرا أن يكون جميع أفراد جماعتي من الذين يخافون الله ﷻ ويقيمون الصلاة ويستيقظون في الليالي ويخرون على الأرض ويبكون ولا يضيعون واجبات الله، وليسوا من البخلاء والممسكين أو الغافلين أو ديدان الأرض. وإنني آمل أن يستجيب الله تعالى أدعيتي ويريني أني تارك ورائي أناسا كهؤلاء. أما الذين تزني عيونهم، والذين لهم قلوب أقذر من الروث، والذين لا يذكرون الموت فإنني وربي منهم براءٌ. وسأكون جِدّ سعيد لو قطع هؤلاء الناس هذه الصلة، لأن الله تعالى يريد أن يجعل من هذه الجماعة أمة تذكِّر سيرتُهم الناسَ بالله سُبحانه وتعالى،

ويحتلون مقام الصدارة في التقوى والطهارة، وقد آثروا الدينَ على الدنيا حقيقةً. ولكن هؤلاءِ المفسدين الذين وضعوا أيديهم تحت يدي وقالوا: لقد آثرنا الدين على الدنيا، ثم إذا خلوا إلى بيوتهم انهمكوا في مفاسد بحيث لا تكون في قلوبهم إلا الدنيا، ولا تكون نظرتهم طاهرة ولا قلوبهم، ولا تقترف أيديهم حسنة، ولا تتحرك أقدامهم إلى أي عمل صالح، بل هم كالفأر الذي يتربّى في الظلام، وفيه يقضي حياته وفيه يموت، إنهم سيُقطَعون من جماعتي في السماء. إنهم عبثا يقولون بأنهم ينتمون إلى هذه الجماعة لأنهم لا يُعدُّون منها في السماء. والذي لا يعمل بوصيتي بتقديم الدين على الدنيا حقيقة، وإحداث انقلاب طاهر في نفسه، وتطهير قلبه ونِيَّاته تطهيرا حقيقيا، وخلع لباس النجاسة والمحرَّمات، ومواساة جميع البشر وطاعة الله تعالى بصدق، والتخلي عن الأنانية كلية، فأشبِّه ذلك الشخصَ بكلب لا يترك مكانا تُرمى فيه الجيَف وتتكدس فيه جُثَثٌ نتنةٌ. فهل أنا بحاجة لأن يكون الناس معي باللسان فقط لتتكوَّن جماعةٌ في الظاهر؟ إنني أقول صدقا وحقا إنه لو هجرني الناس جميعا ولم يبق معي واحد منهم، لخلق لي ربّي قوما آخرين يكونون خيرا منهم في الصدق والوفاء. إنه لَفِعْلُ الجذب السماوي أن يُسرِع إلي أناسٌ ذوو قلوب طاهرة، ولا رادّ للجذب السماوي. إن بعض الناس يعتمدون على

مكرهم ومكائدهم أكثر من اعتمادهم على الله عَزَّ وَجَلَّ، لعلهم يفكرون في قلوبهم أن النبوة والرسالة كلها من مكائد الإنسان، ويظنون أن السمعة الطيبة والإقبال تُنال بالمصادفةِ فقط. والحق أني لا أرى فكرةً أخبث من هذه الفكرة، وإن أصحابها لا يؤمنون بالله الذي لا تسقط من ورقة إلا بإذنه. فملعونة تلك القلوب، وملعونةٌ تلك الطبائع وسيهلكهم الله تعالى بالذلة والهوان لأنهم يخالفون مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنهم في الحقيقة ملحدون وخبثاء الباطن، ويحيون حياة جهنمية، وليس في نصيبهم بعد الموت إلا نار جهنم.

فأقول بإيجاز إنه علاوة على دار الضيافة، والمجلة التي تصدر بالإنجليزية والأردية معا - وأبدى معظم الإخوة حماسا ملحوظا لها - قد فُتحت مدرسة أيضا في قاديان، ومن فوائدها أن يتعلم فيها الأولاد الصغار من ناحية، ومن ناحية ثانية يتعرفون على مبادئ جماعتنا. وهكذا تتشكل جماعة بكل سهولة. بل في معظم الأحيان ينضم آباؤهم أيضا إلى هذا الجماعة. غير أن مدرستنا هذه تواجه في هذه الأيام مشاكل كبيرة، مع أن حِبي في الله وأخي العزيز "نواب محمد علي خانْ" رئيس مالير كوتله، يدعمها من جيبه الخاص بثمانين روبية شهريا، ولكن هذا المبلغ لا يكفي حتى لدفع الرواتب الشهرية للمعلمين، ولذلك وصلت الديون المتراكمة إلى المئات.

وبالإضافة إلى المدرسة هناك عدة مبانٍ مهمة تابعة للمدرسة نفسها ولم يكتمل بناؤها بعد؛ وبهذا الحزن - إضافة إلى أحزان أخرى - يحترق قلبي كمدًا. ولقد تفكرت في هذا الصدد كثيرا حتى خطرت ببالي فكرة أن أوجه أنظار المخلصين من جماعتي بشدة إلى أنهم لو كانوا قادرين على أن يدفعوا تبرعا شهريا من أجل المدرسة، فليحدد كل واحد منهم مبلغا معيَّنا بعزم وتصميم، ثم لا يخلف الميعاد إلا لظروف قاهرة تحل بقضاء الله وقدره. والذين لا يستطيعون فعل ذلك فهناك اقتراح آخر بالنسبة لهم، وهو أن يرسلوا من أجل المدرسة "رُبع ما يرسلونه لِيُنفَقَ على دار الضيافة" مباشرة باسم السيد نواب محمد علي، ولا يضموا هذا المبلغ إلى التبرع الذي يرسلونه للمدرسة، بل يجب أن يرسلوه منفصلا بحوالة بريدية. مع أنني أضطر لرعاية شؤون دار الضيافة كل يوم، وهذا العبء يقع عليّ مباشرة ويشوش جدول أوقاتي، ولكن لا قِبل لي بهذه المشكلة التي تواجهها المدرسة وهي تُحزِن قلبي كثيرا. لذا أقول للأبطال من جماعتي، الذين أعلّق عليهم آمالا كبيرة، ألا يهملوا طلبي هذا كشيء رديء، بل يجب أن ينفّذوه بكل اهتمام. ولا أقول شيئا من عندي إنما أقول ما يلقيه الله تعالى في قلبي. لقد فكرت كثيرا ودرست الموضوع أكثر من مرة، وتوصلت إلى نتيجة أنه لو ظلت المدرسة

موجودة في قاديان، لكانت مصدرا لبركات كثيرة، ويمكن أن يأتينا بواسطتها فوج من ذوي الثقافة الحديثة. وإنني أعلم أيضا بأن معظم الطلاب يدرسون من أجل الدنيا فقط وليس من أجل الدين، وأن أفكار آبائهم تكون مقصورة على الدنيا وحدها أيضا، ولكن الصحبة اليومية تترك تأثيرها لا محالة؛ ولو وُجد طالبٌ واحد، من بين عشرين طالبا، يميل طبعه إلى الدين، وبدأ يعمل بتعليمنا، لقلتُ بأننا أصبنا هدفنا من تأسيس هذه المدرسة.

وأقول أخيرا بأنه يجب أن تعلموا أن المدرسة لن تبقى على هذه الحالة من الضعف والسقم دائما، بل إنني على يقين أنها ستنال دعما ملحوظا من رُسوم يدفعها الطلاب، وقد تكون كافية لإدارة شؤونها. وعندها لن يكون ضروريا أن تُؤخذ النقود من صندوق دار الضيافة وتُصرف على المدرسة. ففي حال الحصول على السَّعة المالية، تُلغى تعليماتي الحالية في هذا الصدد، وبذلك تستعيد دار الضيافة - وهي أيضا بمنـــزلة المدرسة في حد ذاتها - نصيبها (أي الربعَ) من الأموال المدفوعة. لقد اخترت هذا الطريق الصعب الذي بسببه ستواجه دار الضيافة بعض المشاكل، لأني أرى - كما يبدو في الظاهر - أنه من الممكن ألا تُسَّدَ الحاجة الحالية من خلال التبرعات

الجديدة، ولكن لو سُدَّت الحاجة بفضل الله تعالى، لما كانت هناك حاجة لأخذ الأموال وردها.

وقد قلتُ إن دار الضيافة أيضا بمنــزلة المدرسة، لأن الضيوف الذين يترددون عليّ، وقد أقِيمت دار الضيافة لخدمتهم، يستمعون إلى تعليمي، وإني على يقين بأن الذين يستمعون تعليمي باستمرار، سيهديهم الله تعالى ويشرح صدورهم.

والآن أكتفي بهذا القدر، وأدعو الله تعالى أن يوفق جماعتي للعمل بما قدّمت، وأن يبارك في أموالهم ويشرح صدورهم لهذا العمل الخير، آمين، ثم آمين.

والسلام على من اتبع الهدى.

١٦ تشرين الأول عام ١٩٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

الوقت وقتُ الدعاء.. لا وقت الملاحم وقتل الأعداء

اعلموا -أرشدكم الله- أن الأمر قد خرج من أن يتهيّأ القوم للجهاد، ويُهلّوا له أهلَ الاستعداد، ويستحضروا الغزوَ من الحضر والبدو ويفوزوا في استنجاد الجنود، واستحشاد الحشود، وإصحارِ الأسود، فإنّا نرى المسلمين أضعفَ الأقوام، في مُلكنا هذا والعرب والروم والشام، ما بقيت فيهم قوة الحرب، ولا علم الطعن والضرب، وأمّا الكفّار فقد استبصروا في فنون القتال، وأعدّوا للمسلمين كلّ عُدّة للاستيصال، ونرى أن العدا من كل حدَبٍ ينسلون، وما يلتقي جمعانِ إلا وهم يغلبون. فظهر مما ظهر أن الوقت وقت الدعاء، والتضرّعِ في حضرة الكبرياء، لا وقت الملاحم وقتلِ الأعداء، ومَن لا يعرف الوقت فيُلقي نفسه إلى التهلكة، ولا يرى إلا أنواع النكبة والذلّة.

وقد نُكّست أعلام حروب المسلمين.. ألا ترى؟ وأين رجال الطعن والسيف والمُدى؟ السيوف أُغمِدتْ، والرماح كُسّرت، وأُلقِيَ الرعب في قلوب المسلمين، فتراهم في كل موطنٍ فارّين مدبرين. وإنّ الحرب نهبت أعمارهم، وأضاعت عَسْجدهم وعَقارهم، وما صلح بها أمرُ الدين إلى هذا الحين، بل الفتن تموّجت وزادت، وصراصر الفساد أهلكت المِلّةَ وأبادت، وترون قصر الإسلام قد خرّت شَعَفاته، وعُفّرت شُرفاته، فأيّ فائدة ترتّبت مِن تقلُّد السيف والسنان، وأيّ مُنْية حصلت إلى هذا الأوان، مِن غير أن الدماء سُفكت، والأموال أُنفدت، والأوقات ضُيّعت، والحسراتِ أُضعفت، ما نفعكم الخميس، ووُطِئتم إذا حمي الوطيس.

فاعلموا أن الدعاء حربة أُعطيت من السماء لفتح هذا الزمان، ولن تَغلبوا إلا بهذه الحربة يا معشر الخلاّن، وقد أخبر النبيّون من أوّلهم إلى آخرهم بهذه الحربة، وقالوا إن المسيح الموعود ينال الفتح بالدعاء والتضرع في الحضرة، لا بالملاحم وسفك دماءِ الأمّة. وإنّ حقيقة الدعاء الإقبالُ على الله بجميع الهمّة، والصدق والصبر لدفع الضرّاء، وإن أولياء الله إذا توجّهوا إلى ربهم لدفعِ مؤذٍ بالتضرّع والابتهال، جرت عادة الله أنه يسمع دعاءهم ولو بعد حين أو في الحال، وتوجّهت العناية الصمَدية ليدفع ما نزل بهم من البلاء

والوبال، بعد ما أقبلوا على الله كل الإقبال. وإن أعظم الكرامات استجابة الدعوات، عند حلول الآفات. فكذلك قُدِّرَ لآخر الزمان، أعني زمن المسيح الموعود المرسل من الرحمان، أن صَفَّ المَصافِّ يُطوى، وتُفتح القلوب بالكَلِمِ وتُشرَح الصدور بالهدى، أو يُنقَل الناس إلى المقابر من الطاعون أو قارعة أخرى، وكذلك الله قضى، ليجعل الهزيمة على الكفر ويُعلي في الأرض دينًا هو في السماء علا. وإن قدمي هذه على مصارع المنكرين، وسأُنصَر مِن ربي ويُقضى الأمر ويتمّ قول رب العالمين.

وهذه هي حقيقة نزولي من السماء، فإني لا أغلب بالعساكر الأرضية بل بملائكة من حضرة الكبرياء.

قيل: ما معنى الدعاء بعد قدَرٍ لا يُرَدّ، وقضاء لا يُصَدّ؟ فاعلمْ أن هذا السرّ مَوْرٌ تضلّ به العقول، ويُغتال فيه الغول، ولا يبلغه إلا مَن يتوب، ومِن التوبة يذوب، فلا تزيدوا الخصام أيها اللئام، وتَلقّفوا مني ما أقول، فإني عليم ومن الفحول. وليس لكم حظ من الإسلام إلا ميسمه، أو لبوسه ورسمه. فمَن أرهفَ أذنه لسمع هذه الحقائق، وحفَد إلينا كاللهيف الشائق، فسأُخْفِره بما يَسرُو ريبتَه، ويملأ عَيبتَه. وهو أن الله جعل بعض الأشياء معلَّقا ببعضها من القديم، وكذلك علّق قدَرَه بدعوة المضطرّ الأليم، فمَن نهض مُهروِلا إلى حضرة العزّة،

بعبرات متحدّرة ودموع جارية من المُقْلة، وقلبٍ يضجر كأنه وُضع على الجمرة، تحرّكَ له موج القبول من الحضرة، ونُجِّيَ مِن كرب بلّغ أمرَه إلى الهلكة. بيد أن هذا المقام، لا يحصل إلا لمن فنى في الله وآثر الحبيب العلاّم، وترَك كل ما يُشابه الأصنام، ولبّى نداء القرآن، وحضر حريم السلطان، وأطاع المولى حتى فنى، ونهى النفس عن الهوى، وتيقّظَ في زمنٍ نعَس الناس، وعاثَ الوَسواس، ورضي عن ربه وما قضى، وألقى إليه العُرى، وما دنّس نفسه بالذنوب، بعد ما أُدخِلَ في ديار المحبوب، بقلبٍ نقيّ، وعزمٍ قويّ، وصدقٍ جليّ. أولئك لا تُضاع دعواهم، ولا تُردّ كلماهم. ومَن آثر الموت لربّه يُرَدّ إليه الحياة، ومن رضي له ببخس تُرجع إليه البركات، فلا تتمنّوه وأنتم تقومون خارج الباب، ولا يُعطى هذا العلم إلا لمن دخل حضرة ربّ الأرباب. ثم يُؤخذ هذا اليقين عن التجاريب، والتجربة شيء يفتح على الناس باب الأعاجيب. والذي لا يقتحم تَنوفةَ السلوك، ولا يجوب مَوامِيَ الغربة لرؤية مِلكِ الملوك، فكيف تُكشَف عليه أسرار الحضرة، مع عدم العلم وعدم التجربة؟ وأمّا من سلك مسلك العارفين، فسوف يرى كلَّ أُطْروفة من رب العالمين.

ومِن أحسنِ ما يلمَح السالكُ هو قبول الدعاء، فسبحان الذي يجيب دعواتِ الأولياء، ويكلّمهم ككلامِ بعضكم بعضًا بل أصفى

منه بالقوة الروحانية، ويجذبهم إلى نفسه بالكلمات اللذيذة البهيّة، فيرتحلون عن عِرسهم وغرسهم إلى ربهم الوحيد، راكبين على طِرْفٍ لا يشمس ولا يحيد. إنهم قوم عاهدوا الله بحلفةٍ أن لا يؤْثروا إلا ذاته، وأن لا يطلبوا إلا أَياتَه، وأن لا يتّبعوا إلا آياته، فإذا رأى اللهُ أنهم وِفق شرطه في كتابه الفرقان، كشف عليهم كل بابٍ من أبواب العرفان.

ثم اعلم أن أعظمَ ما يزيد المعرفة هو مِن العبد باب الدعاء، ومن الرب باب الإيحاء، فإن العيون لا تنفتح إلا برؤية الله بإجابته عند الدعاء، وعند التضرّع والبكاء. ومن لم يُكشف عليه هذه الباب، فليس هو إلا مغترّا بالأباطيل، ولا يعلم ما وجه الرب الجليل، فلذلك يترك ربَّه ويعطف إلى مراتب الدنيا الدنيّة، ويُشغَف قلبه بالأمتعة الفانية، ولا يتنبّه على انقراض العمر وعلى الحسرات عند ترك الأماني، والرحلةِ من البيت الفاني، ولا يذكر هادِمًا يجعل رَبْعَه دارَ الحرمان والحسرة، وأوهنَ مِن بيت العنكبوت وأبعدَ من أسباب الراحة.

وإذا أراد الله لعبدٍ خيرا يهتف في قلبه داعي الفلاحِ، فإذا الليل أبرقُ من الصباح. وكلُّ نفس طُهّرت هي صنيعة إحسان الرب الكريم، وليس الإنسان إلا كدودة مِن غير تربية الخلاق الرحيم.

وأوّل ما يبدأ في قلوب الصالحين، هو التبرّي من الدنيا والانقطاع إلى رب العالمين. وإنّ هذا هو مرادٌ أنقضَ ظهر السالكين، وأمطر عليهم مطر الحزن والبكاء والأنين، فإن النفس الأمّارة ثعبان تبسُط شَرَكَ الهوى، ويهلك الناس كلهم إلا من رحم ربُّه وبسط عليه جناحه باللطف والهدى. وإن الدعاء بذرٌ ينمّيه الله عند الزراعة بالضراعة، وليس عند العبد بضاعة من دون هذه البضاعة، وإنه مِن أعظم دواعٍ تُرْجَى منها النجاة وتُدفَعُ الآفات. ومن كان زِيْرًا للأبدال، وأُذنًا لأهل الحال، تُفتح عينه لرؤية هذا النور، ويشاهد ما فيه من السرّ المستور، ولا يشقى جليس أولياء الجناب، ولو كان كالدوابّ أو في غلواء الشباب، بل يبدَّل ويُجعَل كالشيخ المذاب. فطوبى للذين لا يبرحون أرض المقبولين، ويحفظون كلمهم كخلاصة النضّ ويجمعونها كالممسكين.

والذين يشجّعون قلوبهم لتحقير عباد الرحمان، ويقولون كل ما يخطر في قلوبهم من السبّ والشتم والهذيان، إنهم قوم أهلكوا أنفسهم وأزواجهم وذراريهم بهذه الجرأة، ويموتون ولا يتركون خلفهم إلا قلادة اللعنة. يريدون أن يطفئوا نور الله وكيف شمس الحق تحبّ؟ وكيف ضياء الله يحتجب؟ يسعون لكتمان الحق وهل لنور الله كتمٌ؟ أكذبٌ هذا بل على قلوبهم ختم؟

وإن الذين لا يقبلونني ويقولون إنّا نحن علماء هذا الزمان، إنْ هم إلا أعداء الرحمان. لا يقربون إلا سخط الديّان. يتفوّهون بمائة كلمة ما أُسّس أحدٌ منها على التقوى. هذه سيرة قوم يقولون إنّا نحن العلماء ويعادون الحق والهدى، ولا ينتهجون إلا سبل الردى. فما أدراهم أنهم لا يموتون، وإلى الله لا يرجعون، وعن الأعمال لا يُسألون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فقوموا أيها العباد، قبل يومٍ يسوقكم إلى المعاد، فادعوا ربّكم بصوت رقيق، وزفير وشهيق، وابرزوا بالتوبة إلى الرب الغفور، قبل أن تبرزوا إلى القبور، ولا تلقوا عصا التسيار في أرض الأشرار، ولا تقعدوا إلا مع الأبرار، وكونوا مع الصادقين، وتوبوا مع التوّابين. ولا تيأسوا من روح الله، ولا تمدّوا ظنونكم كالكافرين، ولا تُعرضوا إعراض المتكبّرين، ولا تُصرّوا على الكذب كالأرذلين. ألا ترون إن كنتُ على الحق ولا تقبلونني فكيف مآل المنكرين؟ وإني أفوّض أمري إلى الله.. هو يعلم ما في قلبي وما في قلوبكم.. وإنّا أو إيّاكم لعلى هُدًى أو في ضلال مبين.

وإني أرى أن العِدا لا ينكرونني إلا علوًّا وفسادًا، وإنهم رأوا آياتِ ربّي فما زادوا إلا عنادًا. ألا يرون الحالة الموجودة، والبركات المفقودة؟ أفلا يدعو الزمان بأيديه مصلحا يُصلِح حاله، ويدفع ما

ناله؟ أما ظهرت البيّنات، وتجلّت الآيات، وحان أن يؤتى ما فات؟ بل قلوبهم مظلمة، وصدورهم ضيّقة، قوم فِظاظ غِلاظ، خُلُقُهم نار يسعر في الألفاظ، وكلِمُهم تتطاير كالشُّواظ. ما بقي فيهم أثر رقّة، وما مسَّ خدودَهم غُروبُ مسكنة. يكفّرونني وما أدري على ما يكفّرونني؟ وما قلتُ إلا ما قيل في القرآن، وما قرأت عليهم إلا آيات الرحمان، وما كان حديثٌ يُفترى، بل واقعة جلاّها الله لأوانها، ويعرفها من يعرف رحمة الرب مع شأنها. وكان الله قد وعد في "البراهين"، الذي هو تأليف هذا المسكين، أن الناس يأتونني أفواجًا وعليّ يجمعون، وإليّ الهدايا يُرسلون، ولا أُترَكُ فردًا بل يسعى إليّ فوج من بعد فوج ويقبلون، وتُفتَح عليّ خزائن مِن أيدي الناس ومما لا يعلمون، وأُعصَم مِن شر الأعداء وما يمكرون، وأُعطَى عمرًا أُكمِّل فيه كلَّ ما أراد الله ولو يستنكف العدا ويكرهون، ويوضع لي قبول في الأرض ويُفديني قوم يهتدون. فتمّ كلُّ ما قال ربي كما أنتم تنظرون. أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون. ولو كان هذا الأمر من عند غير الله لما تمّ هذه الأنباء ولهلكتُ كما يهلك المفترون. وترون أن جماعتي في كل عام يتزايدون. وما ترك الأعداء دقيقة في إطفاء نور الله، فتمّ نور الله وهم يفزعون. فانسابوا إلى جحورهم وما تركوا الغِلّ وهم يعلمون. أهذا مِن عند غير الله؟ ما لكم لا

تستحيون ولا تتأمّلون؟ أتحاربون الله بأسلحة منكسرة وأيدٍ مغلولة؟ ويل لكم ولما تفعلون. أهذا فعلُ مفتري كذّاب أو مثل ذلك أُيِّدَ الكاذبون؟ أهذه الكلم مِن كذّاب؟ ما لكم لا تتقون؟ ألا تُرَدّون إلى الله أو تُتركون فيما تشتهون؟ وكلّما أوقدوا نارًا أطفأها الله ثم لا يتدبّرون.

وقالوا لولا سُمّي خلفاء نبيِّنا أنبياء كما أنتم تزعمون؟ كذلك لئلاّ يشتبه على الناس حقيقةُ ختم النبوة ولعلّهم يتأدّبون. ثم لمّا مرّ على ذلك دهرٌ أراد الله أن يُظهر مشابهة السلسلتين في نبوّة الخلفاء لئلاّ يعترض المعترضون، وليزيل الله وساوس قوم يريدون أن يروا مشابهة في النبوة وكذلك يُصرّون، فأرسلني وسمّاني نبيًّا بمعنى فصّلتُه من قبل لا بمعنى يظن المفسدون، ودفَع الاعتراضين ورعَى جَنْبَ هذا وذلك.. إنّ في هذه لهدًى لقوم يتفكّرون. وإني نبي مِن معنى، وفردٌ من الأمّة بمعنى، وكذلك ورد في أمري أفلا يقرأون؟ ألا يقرأون فيما عندهم أنّه "منكم" وأنه "نبي"؟ أهاتان صفتان توجدان في عيسى أو ذُكرتا له في القرآن؟ فأرُونا إن كنتم تصدُقون. بل آثرتم الكفر على الإيمان، فكيف أهدي قومًا نبذوا الفرقان وراء ظهرهم ولا يبالون؟

وكان الله قد قدّر كسر الصليب على يد المسيح فقد ظهرت آثارها، فالعجب أن المعترضين لا يتنبّهون! ألا يرون أن النصرانية

تذوب في كل يوم ويتركها قوم بعد قوم؟ ألا يأتيهم الأخبار أو لا يسمعون؟ إنّ علماءهم يقوّضون بأيديهم خيامهم، وتُهدَى إلى التوحيد كرامُهم، ويذوب مذهبهم كلّ يوم وتنكسر سهامهم، حتى إنّا سمعنا أن قيصر "جَرْمَن" ترَك هذه العقيدة، وأرى الفطرة السعيدة، وكذلك علماؤهم المحققون يُخرِبون بيوتهم بأيديهم وكما دخلوا يخرجون. فويل لعيون لا تبصر، وآذان لا تسمع، وويل للذين يقرأون كتاب الله ثم لا يفهمون.

أينـــزل عيسى من السماء وقد حبَسه القرآن؟ هيهاتَ هيهات لما تزعمون! إنّ حبس القرآن أشدّ من حبس الحديد، فويل للعُمي الذين لا يتدبرون كتاب الله ولا يخشعون. وإن موته خير لهم ولدينهم لو كانوا يعلمون.

قد جاءكم رسول الله ﷺ بعد عيسى في مائةٍ سابعةٍ، وجئتكم في مائة هي ضعفها، إن في ذلك لبشرى لقوم يتفقّهون. فاعلموا أن الله إذ بعث الحَكَمَ الكبير.. أعني نبيّنا ﷺ في مائة سابعة بعد عيسى، فأيّ استبعاد يأخذكم أن يُرسل في ضِعفها هذا الحَكَمَ ليصلح فسادًا عمَّ الورى، ففكِّروا يا أولي النهى. وتعلم أن فساد هذا العصر عمّ جميع الأمم.. مسلما وغير مسلم كما ترى، فهو أكبر من فساد ظهر في النصارى الذين ضلّوا قبل نبيّنا المجتبى، بل تجدهم اليوم أضلَّ

وأخبثَ مما مضى، فإن زماننا هذا زمانُ طوفان كل بدعة وشرك وضلالة كما لا يخفى.

وإني ما أُرسلتُ بالسيف ومع ذلك أُمِرتُ لملحمةٍ عُظمى. وما أدراك ما ملحمة عُظمى! إنها ملحمةٌ سلاحها قلم الحديد لا السيف ولا المُدى، فتقلّدْنا هذا السلاح وجئنا العدا. فلا تنكروا مَن جاءكم على وقته من الله ذي الجبروت والعزة والعُلى. أَأفتريتُ على الله، وقد خاب من افترى. أتلومونني بترك الجهاد بالكفّار وتركِ قتلهم بالسيف البتّار؟ ما لكم لا ترون الوقت وتنطقون كمَن هذَى؟

ثم أنتم عند الله أوّلُ كفرةٍ تركتم كتاب الله وآثرتم سبلا أخرى، فإنْ كان الجهاد واجبا كما هو زعمكم يا أيها الراضون بالصرَى، فأنتم أحق أن تُقتَلوا بما عصيتم نبي الله، وليس عندكم حجّة من كتاب الله الأجلى. وأي شيء بقي فيكم مِن دينكم يا أهل الهوى؟ وأيّ شيء تركتموه من الدنيا ومن هذه الجيفة الكبرى؟ إنكم تستَقْرُون حيلاً لتقرّبكم إلى الحكام زلفى، ونسيتم مليككم الذي خلق الأرض والسماوات العُلى، فكيف تقربون رضا الحضرة الأحديّة وقد قدّمتم على الملّة هذه الحياةَ الدنيا؟ وما بقي فيكم إلا رسم المشاعر الإسلامية ونسيتم ما أمر الله ونهى، وهدمتم بأيديكم بنيان الإسلام والملّة الحنيفية بما خالفتم طرق المسكنة والانزواء

والغربة، وقصدتم عُلُوًّا عند الناس وأكلتم سُمّ هذه الدنيا، وتمايلتم على الأهواء والرياء والنخوة، وسَرَّكم قربُ الملوك وطلبُ الدرجات منهم والمرتبة. وما تركتم عادة من عادات اليهود وقد رأيتم مآلهم يا أولي الفطنة. أتحاربون الكفار مع هذه العفّة؟ فلا تفرحوا، إن الله يرى. ولو كانت إرادة الله أن تحاربوا الكفّار لأعطاكم أزيَدَ مما أعطاهم ولغلبتم كلَّ من بارزكم وبارى. وترون أن فنون الحرب كلها أُعطيتْها الكَفرةُ من الحكمة الإلهية، ففاقوكم في مصافّ البحر والبرّ ولستم في أعينهم إلا كالذرّة، فليس لكم أن تسدّوا ما كشف الله أو تفتحو ما أغلق، فادخلوا رحمة الله من أبوابها ولا تكونوا كمن أغضب ربّه وأحنق، ولا تكونوا كمن حارب الله وعصى، ولا تنتظروا مسيحا ينـــزل من السماء ويسفك دماء الورى، ويعطيكم غنائم من فتوحات شتى. أتضاهئون الذين ظنوا كمثل ذلك قبْلَكم؟ ومِن خُلُق المؤمن أن يعتبر بغيره وينتفع مما رأى، ولا يقتحم تَنُوفةً هلك فيها نفس أخرى. ألم يكفِكم أن الله بعث فيكم ومنكم مسيحكم في الأيام المنتظرة؟ وكنتم على شفا حفرة، فأراد أن ينجّيكم من الحفرة، وأدرككم بمنّة عظمى. ألا تنظرون كيف نزلت الآيات وجُمعت العلامات؟ أتزدري أعينكم آيات الله أو تُعرِضون من الحق إذا أتى؟ أعَجِبتم أن جاءكم منذر منكم وكفرتم وما

شكرتم لربكم الأعلى؟ وما آمنتم بحجج الله، وكذلك سلكها الله في قلوب قوم آثروا الشقا. وكنتم ضلَّ رأيكم في إمام أتى، وخلتم أنه من اليهود وما ظننتم أنه منكم، فما أرداكم إلا هذا العمَى. وكذلك هلكت أحزابٌ من قبلكم وجاءتكم الأخبار فنسيتموها، وسلكتم مسلكهم ليتمّ قول ربنا فيكم كمَن مضى. وما منع الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى مُحْدَثًا إلا أن قالوا إنّا لا نجد فيه كل ما بلَغنا من الأوّلين، فلن نؤمن إلا بمن يأتي وفق ما أوتينا ولا نتّبع المبتدعين. هذه هي عادة السابقين واللاحقين، أتواصوا به؟ بل هم قوم لا يؤمنون بالمرسلين.

وإذا قيل لهم آمِنوا بمن بعث الله وبما أعطاه من العلم قالوا أنؤمن بما خالف علماؤنا من قبل ولو كان علماؤهم من الخاطئين؟ إنهم قوم اطمأنوا بالحياة الدنيا وما كانوا خائفين.

وقالوا لستَ مرسلاً، وسيعلم الذين ظلموا يوم يُرَدّون إلى الله كيف كان عاقبة الظالمين. وقالوا إنْ هذا إلا اختلاق. كلاّ.. بل ران على قلوبهم ما كسبوا فزادوا في شقاق، وما كانوا مستبصرين.

وإنّ علاجهم أن يقوموا في آناء الليالي لصلواتهم، ويُخلوا لهم فِناءَ حجراتهم، ويُغلقوا الأبواب ويُرسلوا عبراتِهم، ويضجروا لنجاتهم، ويصلّوا صلاة الخاشعين، ويسجدوا سجدة المتضرّعين، لعل

الله يرحمهم وهو أرحم الراحمين. وأنَّى لهم ذلك وإنهم يؤْثرون الضحك والاستهزاء على الخشية والبكاء، وكذّبوا كِذّابًا، ويُنادَون مِن بعيدٍ فلا يقرع أُذنَهم حرفٌ من النداء. لا يرون إلى مصائب صُبّت على الملّة، وإلى جروحٍ نالت الدين من الكَفَرة. وإن مثل الإسلام في هذه الأيام كمثل رجل كان أجمل الرجال وأقواهم، وأحسنَ الناس وأبهاهم، فرمى تقلُّبُ الزمان جَفْنَه بالعَمَش، وخدَّه بالنَمَش، وأزالت شَنَبَ أسنانه قُلوحةٌ علَتْها، وعلّةٌ قبّحتْها، فأراد الله أن يمنَّ على هذا الزمان، بردِّ جمالِ الإسلام إليه والحُسنِ واللمعان. وكان الناس ما بقي فيهم روح المخلصين، ولا صدق الصالحين، ولا محبّة المنقطعين، وأفرطوا وفرّطوا وصاروا كالدهريين، وما كان إسلامهم إلا رسومٌ أخذوها عن الآباء، مِن غير بصيرة ومعرفة وسكينة تنزل من السماء، فبعثني ربي ليجعلني دليلاً على وجوده، وليصيّرني أزهرَ الزهر مِن رياض لطفه وجوده، فجئتُ وقد ظهر بي سبيلُه، واتضّح دليله، وعلمت مجاهله، ووردت مناهله. إن السماوات والأرض كانتا رتقًا ففُتِقا بقدومي، وعُلّم الطلباء بعلومي، فأنا الباب للدخول في الهدى، وأنا النور الذي يُرِي ولا يُرى. وإني من أكبر نعماء الرحمان، وأعظم آلاء الديّان. رُزقتُ من ظواهر الملة وخوافيها، وأُعطيتُ علم الصحف المطهَّرة وما فيها، وليس أحدٌ

أشقى من الذي يجهل مقامي، ويُعرض عن دعوتي وطعامي. ومــا جئتُ من نفسي بل أرسلني ربي لأَمُون الإسلام، وأُراعــيَ شــؤونه والأحكام. وأُنزلتُ وقد تقوّضت الآراء، وتشتّت الأهواءُ، واختِيرَ الظلام وتُرِك الضياء، وترى الشيوخ والعلماء كرجل عاري الجلدةِ، بادي الجُردةِ، وليس عندهم إلا قشرٌ من القرآن، وفتيلٌ من الفرقان. غاض دَرُّهم، وضاع دُرُّهم، ومع ذلك أعجبني شدّةُ استكبارهم مع جهلهم ونتنِ عُوارهم. يؤذون الصادق بسبّ وتكــذيب وبهتــان عظيم، ويحسبون أنّ أجره جنّة النعيم. مع أنه جاءهم لينجّيهم مــن الخنّاس، ويخلّص الناس من النعاس. يتوقون إلى مناصب، ويتركــون العليم المُحاسب. يُعرضون عن الذي جاء من الله الرحيم، وقد جاء كالأُساةِ إلى السقيم. يلعنونه بالقلــب القاســي، ذلــك أجــرُهم للمواسي! يحبّون أن يُكرَموا عند الملوك بالمدارج العَلِيّة، وقد أُمِــروا أن يرفضوا علائق الدنيا الدنيّة، وينفُضوا عوائق الملّة البهيّة. يجفلــون نحو الأماني إجفال النعامة، وألقوا فيها عصا الإقامة. قد أُمِــروا أن يمرّوا على الدنيا كعابر سبيل، ويجعلوا أنفسهم كغريب ذليل، فاليوم تراهم يبتغون العزّة عند الحكّام، وما العزّة إلا من الله العلاّم. وبينما نحن نذكّر الناس أيام الرحمان، ونجذبهم إلى الله مــن الــشيطان، إذ رأيناهم يصولون علينا كصول السِّرْحان، ويخوّفوننــا بفحــيحهم

كالثعبان، وما حضروا قطُّ نادِيَنا بصحّة النيّة وصدق الطويّة، ثم مع ذلك يعترضون كاعتراض العليم الخبير، فلا نعلم ما بالهم وأيّ شيء أصبرَهم على السعير؟

لا يشبعون من الدنيا وفي قلبهم لها أسيس مع أنّ حظّهم من الدين خسيس. يقرأون ﴿غيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ثم يسلكون مسلك سخط الرحمان، كأنّهم آلَوا أن لا يطيعوا مَن جاءهم من الديّان. و لم أزل أتأوّه لكفرهم بالحق الذي أتى، ثم يكفّرونني من العمى. فيا للعجب! ما هذا النُّهى؟ واللهُ هو القاضي، وهو يرى امتعاضي، وحَرَّ ارتماضي. يدعون ربهم لاستئصالي، وما يعلمون ما في قلبي وبالي. وما دعاؤهم إلا كخبطِ عشواءَ، فيُرَدّ عليهم ما يبغون عليّ من دائرة ومن بلاء. أيُستجاب دعاؤهم في أمرِ شجرة طيّبة غُرست بأيدي الرحمن، ليأوي إليها كلّ طائر يريد ظلّها وثمرتها كالجوعان، ويريد الأمنَ مِن كل صقر مثيل الشيطان؟

أيؤمنون بالقرآن؟ كلا.. إنهم قوم رضوا بخضرة الدنيا ونضرتها واللمعان، وصعدوا إليها وغفلوا مما يصيبهم من هذا الثعبان. يجرّون ذيل الطرب عند حصول الأماني الدنيوية، ويذكرونها بالخيلاء والكلم الفخرية، ولا يتألّمون على ذهاب العمر وفوت المدارج

الأخروية. وإن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها، وحُلوٌ ظواهرُها وسمٌّ خوافيها.

فيا حسرة عليهم! إنهم يبيعون الرطب بالحطب، وينسون في البيوت ما يقرأون واعظين في الخطب، ويقولون ما لا يفعلون، ويؤتون الناس ما لا يمسّون، ويهدون إلى سبل لا يسلكونها، وإلى مهجة لا يعرفونها، ويعظون لإيثار الحق ولا يؤْثرون. يسقطون على الدنيا كالكلاب على الجيفة، ويحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا من الأهواء الخسيسة، ويريدون أن يقال إنهم من الأبدال وأهل التقوى والعفّة، ولن يُجمَعُ الدنيا مع الدين ولا الملائكةُ مع الشياطين.

ومن آخر وصايا أردتُها للمخالفين، وقصدتُها لدعوة المنكرين، هو إظهار أمرٍ ابتلى الله به مِن قبلُ اليهودَ، فضلّوا وسوّدوا القلب المردود، فإن الله وعَدهم لإرجاع إلياسَ إليهم من السماء، فما جاءهم قبل عيسى فكذّبوا عيسى لهذا الابتلاء. فلو فرضنا أن معنى النزول من السماء هو النزول في الحقيقة، فما كان عيسى إلا كاذبا ونعوذ بالله من هذه التهمة. فأعجبني أن أعداءنا من العلماء، لِمَ يسلكون مسلك اليهود، وكيف نسوا قصّة تلك القوم ونزول الغضب عليهم من الله الودود؟ أيريدون أن يُلعَنوا على لساني كما

لُعن اليهود على لسان عيسى؟ أوَجَبَ عندهم نزول عيسى حقيقةً وما وجب نزول إلياس فيما مضى؟ تلك إذًا قسمةٌ ضيزى!

ألا يقرأون القرآن كيف قال حكاية عن نبيّنا المصطفى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَّسُولاً﴾؟ فما زعمكم ألم يكن عيسى بشرًا فصعد إلى السماء ومُنِع نبيُّنا المجتبى؟

وكلّ من عارضَ خبر نزول المسيح بخبر نزول إلياس فلم يبق له في اتّحاد معناهما شك والتباس. فاسألوا أهل الكتاب: أأُنزِلَ إلياس في زمان المسيح؟ واتقوا الله ولا تصرّوا على الكذب الصريح. ليس في عادة الله اختلاف، فالمعنى واضح ليس فيه خلاف. وما نزل مِن بُدُوِّ آدم إلى هذا الزمان أحدٌ من السماء، وما نزل إلياس مع شدة حاجة نزوله لرفع الشك وظن الافتراء. وإنْ فرّقنا بين هذا النزول وذلك النزول، وسلكْنا في موضعٍ مسلكَ قبول الاستعارة وفي آخرَ مسلكَ عدمِ القبول، فهذا ظلم لا يرضى به العقل السليم، ولا يصدّقه الطبع المستقيم. وكيف يُنسب إلى الله أنه أضلّ الناس بأفعالٍ شتّى، وأراد في مقام أمرًا وفي مقام سُنّةً أخرى؟ ففكِّرْ إن كنتَ تطلب الحق وما أخال أن تتفكر إن كنتَ من العِدا، وما لك تقدِّم بين يدي الله ورسوله مِن غير علم نالَك، أَو كان عندك مِن يقين أجلى؟ أهذا طريق التقوى؟ والهزيمة خير لك من فتح تريده إن كنتَ

من أهل التّقى. وما في يديك من غير آثار معدودة ليس عليها ختم الله ولا ختم رسوله، وإن هي إلا قراطيس أُمليتْ بعد قرون من سيد الورى، ولا نؤمن بقِصصها التي لم توافق بقَصَصِ كتاب ربّنا الأعلى. وقد ضلّت اليهود بهذه العقيدة من قبل، فلا تضعوا أقدامكم على أقدامهم ولا تتّبعوا طرق الهوى، واتّقوا أن يحلّ عليكم غضب الله ومَن حلّ عليه غضبه فقد هوى.

ولا شك أن اليهود كان عندهم كتاب من الله ذي العزّة، فاتّبعوه بزعمهم واتّبعوا ما فهموا من الآية، وقالوا لن نصرف آياتِ الله من ظواهرها من غير القرينة، فقد نحتوا لأنفسهم معذرة هي خير من معاذيركم بالبداهة، فإنهم وجدوا كل ما وجدوا من كتاب الله بالصراحة، وليس عندكم كتاب بل كتاب الله يكذّبكم ويلطم وجوهكم بالمخالفة، ولذلك تتخذونه مهجورا وتنبذونه وراء ظهوركم من الشقوة. وإن اليهود لم ينبذوا الكتاب ظِهْريًّا، ولم يأتوا فيما دوّنوه أمرًا فريًّا، ولذلك صدّق قولَهم عيسى، بيد أنه أوّلَ قولهم وقال: النازل قد نزل وهو يحيى، وأما أنتم فتصرّون على قول يخالف كتاب الله الودود، فلا شك أنكم شرٌّ مكانًا من اليهود.

وأقَلُّ ما يُستفاد من تلك القصّة هو معرفةُ سُنّة الله في هذه الأمور المتنازعة. فما لكم لا تخافون ربًّا جليلاً؟ أوَجدتم في سُنّة الله تبديلا؟

وما لكم لا تبكون في حجراتكم ولا تُكثرون عويلا، ليرحمكم الله ويُريكم سبيلا؟ وإن الله سيفتح بيني وبينكم فلا تستعجلوه واصبروا صبرًا جميلاً. أيها الناس.. ما لكم لا تتّقون ولا تعالجون داءً دخيلا؟ أتظنّون أنّي افتريتُ على الله، ما لكم لا تخافون يومًا ثقيلا؟ إن الذين يفترون على الله لا يكون لهم خير العاقبة، ويعاديهم الله فيُقتَّلون تقتيلا، ويُطوَى أمرُهم بأسرعِ حين فلا تسمع ذكرهم إلا قليلا. وأما الذين صدقوا وجاءوا من ربهم فمن ذا الذي يقتلهم أو يجعلهم ذليلا؟ إن ربهم معهم في صباحهم وضحاهم وهجيرهم وإذا دخلوا أصيلا. وأمّا الذين كذّبوا رسل الله وعادَوا عبدًا اتخذه الله خليلا، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ولا يرون ظلاًّ ظليلا، وإذا دخلوا جهنم يقولون ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدّهم من الأشرار فيُفصَّل لهم الأمر تفصيلا.

ثم نرجع إلى الأمر الأول ونقول إن قصة نزول إلياس، ثم قصة تأويل عيسى عند الأناس، أمرٌ قد اشتهر بين فِرَقِ اليهود كلّهم والنصارى، وما نازعَ فيه أحدٌ منهم وما بارى، بل لكلِّهم فيها اتّفاق، من غير اختلاف وشقاق، وما من عالم منهم يجهل هذه القصّة، أو يخفي في قلبه الشكَّ والشبهة. فانظروا أن اليهود مع أنهم كانوا عُلّموا من الأنبياء، وما جاء عليهم زمن إلا كان معهم نبي من

حضرة الكبرياء، ثم مع ذلك جهلوا حقيقة هذه القصّة، وما فهموا السرّ وحملوها على الحقيقة. ولمّا جاءهم عيسى لم يجدوا فيه علامة مما كان منقوشًا في أذهانهم، ومُنقَّشًا في جنانهم، فكفروا به وظنّوا أنه من الكاذبين، وفعلوا به ما فعلوا وأدخلوه في المفترين. فلو كان معنى النزول هو النزول في نفس الأمر وفي الحقيقة، فعلى ذلك ليس عيسى صادقًا ويلزم منه أن الحقّ مع اليهود الذين ذكرهم الله باللعنة. هذا بالُ قوم أصرّوا على نصّ الكتاب والقولِ الصريح الواضح من ربّ الأناس، فما بالكم في عقيدة نزول عيسى وليس عندكم إلا أخبار ظنية مختلطة بالأدناس، ومخالِفة لقول رب الناس؟ ما لكم تتّبعون اليهود وتُشبِّهون فطرتَكم بفطرهم؟ أتبغون نصيبا من لعنتهم؟ توبوا ثم توبوا، وإلى الله ارجعوا، وعلى ما سبق تندّموا، فإن الموت قريب، والله حسيب.

أيها الناس.. قد أخذكم بلاء عظيم فقُوموا في الحجرات، وتضرّعوا في حضرة رب الكائنات، واللهُ رحيم كريم، وسبق رحمتُه غضبَه لمن جاء بقلب سليم. وإن شئتم فاسألوا يهود هذا الزمان، أوِ أْتُوني بقدم التقوى واعرِضوا عليّ شبهةً يأخذ الجنانَ. ما لكم لا تخافون هذا الابتلاء، وتتركون سُنّة الله من غير برهان من حضرة الكبرياء؟ وتصرّون على أقوال ما نزل معها من برهان، وما

وجدتموها في القرآن. اعلموا أنكم لا تتّبعون إلا ظنونا، وإنّ الظنّ لا يُغني من الحق شيئا ولا يحصل به اطمئنان. أتريدون أن يتّبع حَكَمُ الله ظنونكم بعد ما أُوتيَ علمًا من الله؟ ما لكم جاوزتم الحد من العدوان؟ وقد تركتم اليقين للشكّ، أهذا هو الإيمان؟ وإنما الدنيا لهو ولعب فلا تغرّنكم عيشة الصحة والأمن والأمان. ويتقضّى الموتُ مُفاجئًا ولو كنتم في بروج مشيّدة، وما ينجيكم نصير من أيدي الديّان. أتقدّمون الشكوك على القرآن؟ بئسما أخذتم سبيلا، وعُمّيت أبصارُكم فما ترون ما جاء من الرحمان. وإني جُعلتُ مسيحا منذ نحو عشرين أعوام من ربّ علاّم، وما كنتُ أريد أن أُجتبى لذلك، وكنتُ أكره من الشهرة في العوامّ، فأخرجني ربي من حجرتي كرهًا، فأطعتُ أمر ربي العلاّم. وهذا كله من ربّي الوهّاب، وإني أُجرّد نفسي من أنواع الخطاب. وما لي وللشهرة وكفاني ربي، ويعلم ربي ما في عيبتي، وهو جُنّتي وجَنّتي، في هذه وفي يوم الحساب.

وإني كتبتُ قصّة نزول إلياس لقوم يوجد فيهم العقل والقياس. وقد اجتمعتُ ببعض العلماء المخالفين، وعرضتُ عليهم ما عرضتُ عليكم في هذا الحين، فوجموا كل الوجوم، وما تفوّهوا بكلمة من المعلوم، وبُهِتوا وفرّوا كالمتندّم الملوم.

ذكر حقيقة الوحي وذرائع حصوله

الآن نختم هذه الرسالة على ذكر سُبُحات الوحي وفضائله، ونِقاب حصوله ووسائله.

فاعلم هداك الله أن الوحي شمس مِن كلم الحضرة، تطلع من أفق قلوب الأبدال، ليزيل الله بها ظلمة خزعبيل الضلال. وهو عين لا تنفد سواعدها، ولا تنقطع أنشاجها، ومنارة لا ينطفئ مِن عدوٍّ سراجها، وقلعة متسلّحة لا تُعَدّ أفواجها، وأرض مقدّسة لا تُعرَف فِجاجها، وروضة يزيد بها قرّةُ العين وابتهاجها. ولا يناله إلا الذين طُهّروا من الأدناس البشرية، ورُزقوا من الأخلاق الإلهية. والذين أثّلوا التقوى وما مزّقوها، وضفّروا أشعار التقاة وما شعّثوها. والذين نوّروا وأثمروا كالشجرة الطيبة، وسارعوا إلى ربهم كالعَيْهَلة. والذين ما فرّطوا وما أفرطوا في سبل الرحمان، وتخشّعوا خوفا منه وجعلوا له حِلْمَ اللسان وقايةَ ما في الجَنان. والذين تشمّروا في سبل الله بالهمّة القوية، وتَكأْكأوا على الحق بجميع القوى الإنسيّة، وقصموا ظهر وساوس وقصدوا فلاةً عوراءِ للمياه السماوية. والذين لا يتثاءبون في الله ولا يتردّدون، ويمشون في الأرض هونًا ولا يتبخترون. والذين ما يقنعون على الحُتامة ويطلبون، ويُقدِمون في موطن الدين ولا

يُحجِمون. والذين لا تحتدم صدورهم وتجد فيهم تــؤدة وهــم لا يستعجلون، وليس نطقهم كآجِنٍ وإذا نطقوا يجِدّون. والذين تبتّلوا إلى الله وصمتوا ولا ينطقون إلا بعد ما يُستنطَقون، وليسوا كبَسِيلٍ بل هم يتلألؤن. والذين لا يختَأُهم قارعٌ عن حبّ الله وكلَّ لمحٍ إلى الله يَجْلَوِّذون. وخَذِئَ له قلبهم وعينهم وأذنهم، ففي أَثَره يُدَأْدِئون، وأدفأَهم الله ما يدفع البردَ، فهم في كــلّ آن يُــسخَّنون. والــذين يُداكِئون إبليس، ويردَأون بالحق وله ينتصرون. وما رطَأُوا الدنيا وما نشَفوا من مائها، وحسبوها كقَمِيءٍ وما كانوا إليها ينظرون. والذين ما رَمَأُوا نفوسهم بما كانت عليها، بل كــلَّ آن إلى الله يحفــدون. ويتزَأْزَأون من الله وله يتصاغرون. والذين زَنَّأُوا على نفوسهم حبلَها وضيّقوا بابَ عيشتها ولا يوسّعون. والذين إذا دُعوا إلى شُواظ من ربهم فهم لا يبعَلون. وما أجْبَأوا زرعَهم بل هم يحرسون. والــذين يجاهدون في الله ويبتهلون، ولا يخافون الثُّكْلَ ولو جَفَأَتْهم البليّةُ، ولله يَجسَأون. والذين عندهم غَمْرٌ وليس علمهم كثَمِيلة، وأُوتوا معارف وفيها يتزايدون. وغلبوا الدنيا وجَعْفَلوها وجَمِئُوا عليها وقــصموها بكَرْتيمٍ، فهم عن زَهْزَمَتها مُبعَدون. والذين ترى هممَهم كجَنَعْدَلٍ، يجوبون مَواميَ ولا يلغبون. لا يتجَأّلون عن أمر ربهــم وهــم لــه مسلمون. والذين حَنَأَتْ أرضُهم والتفَّت نَبْتُها بالله، فهــم علــى

شجرة القدس يداومون، وخبَأتْ رداءِ الله صورهم فهم تحت ردائه متسترّون. والذين يبذأون الدنيا وما فيها، ويُبدَّلون كصبي أبدأً، ولا يُترَكون. لا يوجد فيهم غَشْمٌ ولا سُخْفٌ ولا غَيْهَقةٌ، وعند كـل كرب إلى الله يرجعون. والذين لا يمغَثون عِرْضًا بغير حق ولا بأحَدٍ يهجرون، ولا يخافون عَقَبةً نَطّاَء، ولا فَلاةً عَوراءَ، ولا هم يحزنون. والذين يُعَلْهِضُون قارورةَ الفطرة ليستخرجوا ما يخزنون. اســتَوكَثوا من الدنيا فلا يبالون قريحَ زمنٍ وجابِرَ زمنٍ، ويتّخذون الله عــضُدًا وعليه يتوكّلون. والذين جاحوا مِن بواطنهم أصولَ النفسانية، وتجد فيهم شعوذة وإلى الله يسارعون. مُلئوا مِن أَرَجِ الله ومحبّته الذاتيــة، تحسبهم أيقاظا وهم ينامون. والذين عُصموا من شِــصاص العفّــة الرسمية، وصُبّغوا بالتقاة الحقيقية، وأفنَتْهم نار المحبّة، وليسوا كالذين يَضبَحون. والذين ليس مِقْوَلُهم كشَفْرةٍ أَذُوذٍ، وإذا نزل بهم أُفُرّةٌ فهم يصبرون. ويحسنون إلى من آذى من الفَجَرة، ولو كان مِــن زُمــر القَرافصة. ويمكُثون بحضرة الله ولا يبرحون، بل هم يمكُدون. والذين على إيمانهم يخافون، ويحسبون أنه أخفُّ طَيْرُورةً مــن العــصفور، والخوفُ أبلغُ إنقاءً من اليَسْتَعُور، فلا يقنعون على رُذاذٍ ويُعبِّــدون عَرُونةً بَجْرَاءَ ليجعلوها بُهْرةً وكذلك يُجْرِذون. والذين يخافون ثائِبَ الابتلاء إذا أدلجوا وحين يدَّلِجون، ويبكون بعينٍ سُهُدٍ وقلبٍ حِجْزٍ

حين يُمسون وحين يُصبحون. والــذين يؤاســون ولا يقتُــرون، ويخلّصون غريمهم ولا يخلِسون. والذين ليسوا كضَبْسٍ ولا كهَقْلَسٍ ولا هم يتفجَّسون. والذين يجتنبون اللَّطْثَ والنَّكْثَ، ولا تجد فــيهم وثوثة في الدين ولا هم يداهنون. والذين ســلكوا، وفي الــسلوك اجْرَهَدّوا، والرحالَ للحبيب شَدّوا، وقطعوا عُلــق الــدنيا وفي الله يرغبون، وما يقعدون كالذين يئسوا من الآخرة وإلى الله يهرولون. والذين لا يحطّون الرحال، ولا يُريحون الجِمال، ويجتنبون الوَبَــدَ ولا يَركُدون، ويبيتون لربّهم سُجّدًا وقياماً ولا يتنعّمــون. والــذين يضجرون لكشفِ الحُجب ورؤية الحق، ويسعون كل السعي لعلهم يُرحمون. وما يَحجَأون في الله بالنفس ولو يُسفَكون. وحــضأوا في نفوسهم نارًا فكلَّ آن يوقدون. وأَحْكَأوا عقدةَ الوفاء فهُمْ عليه ولو يُقتَّلون. أولئك الذين رحمهم الله وأراهم وجهه مِــن كــل بــاب ورزقهم من حيث لا يحتسبون، بما كانوا يحبّون الله ويتّقونــه حــقَّ تُقاته وبما كانوا يفرَقون.

إن الذين تَجانَأُوا على حُذَّة الدنيا وصِراها ويئسوا من جَزْحِ الله، أولئك الذين لا يكلّمهم الله ويُلقَون في فلاةٍ بَدِيدٍ ويموتــون وهــم عمون. إنهم لا يفتحون العيون مع أَيــاةٍ أَجْبَــأَ علــيهم ولا هــم يُصَأْصِئون، كأن الشمس ما صَمَأَتْ عليهم وكــأنهم لا يعلمــون.

وكذلك جرت عادة الله، لا يستوي عنده مَن جاءه يبغي الرضـــا، ومَن عصى وغوى، إنه لا يبالي الغافلين. وإنه يهرول إلى من يمـــشي إليه وإنه يحبّ المتقين. وله سُنّة لا تُخبَأُ كخُثٍّ مخلَّف، ألا إن السُنّة لَياحٌ يُرَى في كل حين. الكاذب تَبَّ، والصادق صعَد وثَبَّ، فطوبى للذي إليه باءَ وأَبَّ، وتَنَأَ بعتبته وإياه أحبَّ. إنّه يحبّ مَن دَقَّ له ولا يحبّ البَبَّ، فويل للذين قعدوا كجُلْذٍ، وكثرت وساوسهم كـــامرأة أَضْنَأتْ، ما بقي لهم ظمَأٌ في طلب الله، وأنواعُ بَغَرِ الدنيا على القلب طَسَأَتْ. ضعفتْ نفوسهم فشقَّ عِبْءُ الإيمان وهـــم متقَلـــون. ولا يزالون يذكرون الدنيا وهم لها يقلقون. يكادون أن يُفسِّئوا ثـــوبَ الدين، ويُزهِفون إلى الله أحاديث وهم يتعمّدون. فقَأُوا عيونهم بمكر آثروه ثم يقولون نحن قوم مبصرون. وقد سطَحوا الفطنة ثم ذبحوها، ويُصفِدهم القرآن فهم عنه معرضون. إنما مثلهم كمثل أرضٍ قَفِئَتْ، أو كنَبْتٍ كَدَأَ، وأراد الله أن يزيدهم علما، فنسوا ما يدرســـون. أو مثلهم كمثل رجل قعد في مَقْنُوءةٍ، فطلعت الشمس حتى جـــاءت على رأسه وهو من الذين يَغْتَهِبون.

وقوم آخرون رضوا بالحُماذِيّ، وقع بعضهم لبعض كالمُحاذي. وإني أنا الأَحْوَذيّ كذي القرنين. وجدتُ قومًـــا في أُوارٍ، وقومًـــا آخرين في زمهَرِيرٍ وعينٍ كدِرَةٍ لفقدِ العين. وإني أنا الغَيْذانُ ومِن الله

أرى، وأعلم أن القدر أخرج سهمه وقذا فاذكروا الله بعينٍ ثَرّةٍ يـــا أولي النهى، لعلكم تجدوا حِنْــزًا أو كثيرًا من الندى، والسلام على من اتبع الهدى. وأنا العبد المفتقر إلى الله الأحد، غلام أحمد القادياني المسيح الربّاني.

علامات المقرّبين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

أيها الناس احشدوا، فإني سأقرأ عليكم علامات المقرّبين.

إنهم قوم حفظ الله غُضوضة روحهم، وليسوا كجامِسٍ ولا كأَفينٍ. تجدهم حَسَنَ الحِبر والسِبر وكشابٍّ بَهْكَنٍ، ولا تجدهم كمَنْ نُخِشَ وصار كالمدقوقين. قوم شُرحت صدورهم وأُزّرت ظهورهم، ونُضِّر نورهم، فأسلموا وجوههم لله، وما بالوا أذًى في الله، ولو قُطع حبل المتين، ولا يحايِصون الموتَ إلا لرب العالمين. يُربَّى الخَلْقُ مِن ألبانهم، وتُقوَّى القلوب من فيضانهم، وليسوا كشاةٍ مُمْغِرٍ، ولا كرجلٍ مُشتِّرٍ، ويُبعثون في أرضٍ مَزْبَرةٍ ومَعْقَرةٍ وَمَثْعَلةٍ وعند كثرة الباغزين. تجدهم أكثرَ قزازةً، ولا تجد فيهم كزازةً، ولا تراهم كضنين. وتجدهم يبيعون أنفسهم لله ولمصافاته، ويواسون خَلْقَه لمرضاته، ولا تجد أنفسهم كالمُبَرْطِسين. يحسبهم الزَوْشُ العِنْقاشُ من المُخْترِصين، وإنْ هم إلا نور السماء وأمان الأرض وأئمة الصادقين. تعافُ الأرض لقيانَهم، وتنير السماء برهانهم، وإنهم حجة الله على

مَن عصى من المخلوقين. وإنهم عاهدوا الله بحلفةٍ أن لا يحبّوا ولا يعادوا بأمر أنفسهم، وانصلتوا منها انصلات الفارّين. وأحضروا ربَّهم ظاهرهم وباطنهم وجاءوه منقطعين. وأفنَوا أنفسهم لاستثمار السعادة، وماتوا لتجديد الولادة، وأرضَوا ربهم باقتحام الأخطار، والصبرِ تحت مَجاري الأقدار، وأدّوا كلّ ما يقتضي الخلوص وما هو من شروط المخلصين. إنهم قوم أخفاهم الله كما أخفى ذاته، وذَرَّ عليهم لمعاته، ومع ذلك يُعرَفون مِن سَمْتهم ومن جباههم ومن سيماهم، ونورُ الله يتلألأ على وجوههم، ويُرى من رُوائهم، ولهم بصيصٌ يخزي الخاطلين. ومِن شِقوة أعدائهم أنهم يظنّون فيهم ظنّ السَّوْء ولا يَحُقُّون ما ظنّوا وما كانوا متقين. إنْ هم إلا كأخْوَصَ أو أعْمَى وليسوا من المبصرين. لهم جبهةٌ خَشْباءَ، ونفسٌ كعَوْجاءَ، وقلوبهم مُسودّة ولو ابيضّ إزارهم كخَرْجاءَ، وليسوا إلا كتِنّين. يعادون أهل الله ولا يظلمون إلا أنفسهم، فلو لم يتولّدوا كان خيرا لهم. لم يعرفوا إمام زمانهم، ورضوا بميتة الجاهلية، فتعسًا لقوم عمين. غرّتْهم رُضاضة التنعّم فنسوا عَلَزَ القلقِ وغَصَصَ الجَرَضِ، ولم يصبهم داهية من حَبَضِ الدهر، فلذلك يمشون في الأرض فرحين، ويمرّون بعباد الرحمن مختالين متكبّرين.

إن أولياء الله لا يريدون مُخَرْفَجًا في الحياة الدنيا، ويؤْثرون للهِ خصاصةً، ويطهّرون نفوسهم ويشوصون، ويقبَلون دواهيَ هذه ويتّقون نَهابِرَ الآخرة ولها يجاهدون. ولا يأتي عليهم أُبْضٌ إلا وهم في العرفان يتزايدون. ولا تطلُع عليهم شمس إلا وتجد يومهم أمثلَ مِن أمسهم ولا ينكصون، وفي كل آن يُقدِمون. ويزيدهم الله نورًا على نورٍ حتى لا يُعرَفون. ويحسبهم الجاهل بشرًا متلطخا وهم عن أنفسهم يُبعَدون. وإذا مسّهم طائف من الشيطان أقبلوا على الله متضرّعين، وسعوا إلى كهفه فإذا هم مبصرون. ولا يقومون إلى الدعاء كُسالى، بل كادوا أن يموتوا في دعائهم، فيُسمَع لتقواهم ويُدرَكون. وكذلك يُعطَون قوةً بعد ضعفٍ عند الدعاء، وتنـــزل عليهم السكينة، وتقوّيهم الملائكة، فيُعصَمون من كل خطيئة ويُحفظون. ويصعدون إلى الله ويغيبون في مرضاته، فلا يعلمهم غير الله وهم من أعينهم يُستَرون. قومٌ أخفياء، فلذلك هلك في أمرهم الهالكون. ينظر إليهم عُمْيُ هذه الدنيا وهم يستهزئون. أهذا الذي بعثه الله؟ بل هم قومٌ عمون. ولهم علامات يُعرَفون بها، ولا يعرفهم إلا المتفرّسون المتطهّرون.

فمن علاماتهم أنهم يُبعَدون عن الدنيا، ويُضرب على الصِّماخ، لا تبقى الدنيا في قلوبهم مثقال ذرّة ويكونون كالسحاب المُنْضاخ، في

الله ينفقون، ولا يمسّهم وَسَخٌ ولا دَرَنٌ منها، وكل آنٍ من النور يُغسَلون.

ومن علاماتهم أن الله يودع قلوبَهم الجذب، فالخلق إليهم يُجذَبون. ويكونون كعينٍ نضّاخةٍ باردٍ ماؤها، فالخلق إليهم يُهرولون. وينتضخ عليهم ماءُ وحي الرحمان، فالناس من مائهم يشربون.

ومن علاماتهم أنهم لا يعيشون كهَبَيَّخٍ، بل في بحار البلاء يسبَحون. ويتهيأ للنَحْرِ وريدُهم، وبه تُفضَخ عناقيدهم، فالخلق منها يعصرون.

ومن علاماتهم أنهم يسبّحون لله، ويسبَحون في ذكره كحوت رَضْراض، ويُقبِلون عليه كل الإقبال ويصرخون كصرخة الحُبْلى عند المخاض، وبه يتلذذون.

ومن علاماتهم تزجيةُ عيشة الدنيا ببَذاذةٍ وتَصالُحٍ على الأغيار، وصارخةِ المستصرخين، والذكرِ كغادرات الأوكار، وبه يتضمّخون.

ومن علاماتهم تنـــزُّههم مِن كل صَنْخةٍ وصلاخٍ، كونُهم فتيانَ المواطن لا كلابسات الفِتاخ، بما يفسخون عنهم ثوبَ الجبن، ويبلّغون الحق ولا يخافون.

ومن علاماتهم أنهم يُربّون مَن بايعهم مخلصًا تربية الأفراخ، وينجّونهم من الفِخاخ، ويقومون ويسجدون لهم في ليلةٍ قاخٍ، فيدركهم غيث الرحمة ويُرحَمون.

ومن علاماتهم أنهم لا يُتوفَّون إلا بعد ما أَفْرَخَ أمرُهم، واجتمعت زُمرهم، وتبيّن الحقُّ كالفَرّوخ مُلِئَ دلوهم ولم يبق ماؤه كالوَضوخ، فظهروا بالجسد الممضوخ، وكمّلوا زينتهم كعَتِيدة العرائس، لينظر الخَلق إليهم فيُحمَدون.

ومن علاماتهم أن الدنيا لا تفنِّخهم بأفكارها، بل هم يَقفَخونها، ويزيلون شفرة أوزارها، وعلى الله يتوكّلون.

ومن علاماتهم أنّهم يقومون في ليالٍ كاخٍ ابتغاءَ رضا الحضرة، ويزرعون بذر الحسنات ويتخذون تقواهم كوخًا لحفاظة تلك الزراعة، فيحصدون في هذه وبعدها ما يزرعون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يقطّبون ولا يتشزّنون، ولا يصعّرون للناس، ولا يخرِّجون مرعى الهُدى، ولا يكونون كأرضٍ مُخرَّجةٍ، ولا يولّون الدبر عند العَماس، ولو مشوا في العَماس، ولا يفرّون ولو يقتَّلون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يمطَخون عِرضًا بغير الحق، ويُغمِدون اللسان ولا يمتلخون، ولا يملَخون بالباطل، ويميخ غضبهم ولو

يوقدون. وإذا بلغهم قول يؤذيهم لا ينبَخون نُبوخَ العجين، ولا ينتخون الاستقامة بل عليها يحافظون. ولا تجدهم كمُندَّخٍ بل هم قومٌ غيارَى وعن أخلاق الله يستنسخون، ويستنسخون عن أخلاق نبيّهم كاكتتابكم كتابًا عن كتاب، وكذلك يفعلون.

ومن علاماتهم أنّهم يشابهون عامّة الناس من جهةِ ظاهر الصورة، ويغايرونهم في الجواهر المستورة، ويجعل الله لهم فرقانًا كنَفْخاءَ رابية، في بلاد خاوية، ويخضّرون ويُثمرون، وكشجرة النَّهْداء يرتفعون.

ومن علاماتهم أنّهم يُعطَون نُقاخ الأخلاق كلها من غير مزاج الرياء، وينوّخ الله أرضَ قلوبهم طروقةً لذلك الماء، ويُعرَفون بالرُواء، ويُطيّبون ويُعطّرون.

ومن علاماتهم أنّهم يكونون كُمَشاءَ الموطنِ ولا يكونون كرجُلٍ وَخْواخ، وتجذبهم القوة السماوية فيُزكَّون من الأوساخ، ويَنقَخ أهواءَهم ضربٌ من الله فيودّعونها من النُّقاخ، فلا يمسّهم لوثٌ من الدنيا، ولا يتألّمون بتركها، ولا هم يتحزّبون.

ومن علاماتهم أنّ صحبتهم حرزٌ حافظٌ لأهل الأرض من السماء عند نزول البلاء، ودواءٌ لقساوةٍ تتولّد من أماني الدنيا والأهواء. وكما يعلو الجِلدَ درنٌ من قلّة التعهّد بالماء، كذلك تتّسخ القلوب من قلّة صحبة الأولياء، ويعلمها العالمون.

ومن علاماتهم أنّ صحبتهم تُحيي القلوب، وتُقلّل الذنوب، وتُقوّي الوَّشْخَ اللَّغوب، فيثبُت الناس بهم على المنهاج ولا يتقدّدون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يناضلون أعداءهم كإبلٍ تواضَخَتْ، ولا يكون وِضاخُهم إلا إذا الحرب عند ربّهم حُتِمتْ، ولا يجادلون إلا إذا الحقيقة ائتَلختْ، ولا يؤذون ظالمًا بغير الإذن وإن يموتوا كشاةٍ عُبِطَتْ، وبأخلاق الله يتخلّقون.

ومن علاماتهم أنّهم يتّقون الكذب والشحناء، والأهواء والرياء، والسبّ والإيذاء، ولا يحرّكون يدًا ولا رِجْلاً إلا بأمر ربهم ولا يجترئون. لا يبالون لعنة الدنيا ويتّقون افتضاحًا هو عند ربهم، ويستغفرونه حين يُمسون وحين يُصبحون، وإذا اتّسخوا بغفلة فبذِكره يَبْترِدون. لباسهم التقوى فإيّاه يبيّضون، ويعافون أثوابًا جُرودًا وفي التُّقى يُجَرْهِدون. ويتأبّدون مِن صحبة الأغيار ولا يبرحون حضرةَ العزّة ولا يفارقون. وما شجّعهم على ترك الدنيا وأهلها إلا الوجه الذي له يَسهَدون.

ومن علاماتهم أنّهم لا ينطقون بآبدةٍ ولا يهذَرون، ويتّقون الهَزْلَ ولا يستهزءون. ويزجّون عيشتهم محزونين، ويخافون حَبْطَ أعمالهم بقول يتفوّهون، أو بفعلٍ يفعلون. ولا يكون نطقهم إلا كبِناءٍ مؤجَّد ولا يخطَلون.

ومن علاماهم أنّك تراهم آجَدَهم للهِ بعد ضعفٍ، وأوجَدَهم بعد فقر، وهم لا يُترَكون.

ومن علاماهم أنّهم يرون إِدَدًا وأَوَدًا مِن أيدي الناس، ويتراءى الياس مِن كل طرفٍ، ثم يُدركهم الله ويُعصَمون. وإذا نزلت هم آفة رُزقوا من عند الله صبرًا يُعجِب الملائكةَ، ثم ينــزل الفضل فيُخلَّصون.

ومن علاماهم أنّهم لا يتّكئون على طِرْفٍ ولا تالِدٍ، ولا ابن ولا والدٍ، وعلى الله ربّهم يتّكئون. ولا يسرّهم إلا مستودعاته من المعارف، وكلَّ آنٍ منها يُرزَقون. ويسأمون تكاليف في سبل الله متنشّطين ولا يتجشّمون. ويشكرون لله ولو لم يُعطَوا ثَعْدًا ولا مَعْدًا، وبحبّ الله يفرحون. ذلك بأنهم يُعطَون معارف كثفافيدَ، ويُرزَقون لها مقاليدَ، فمِن كل باب يدخلون. ويعطيهم الله قلوبًا كأنهارٍ تتفجّر، لا كثَمَدٍ يركُد في الركايا ويتكدّر، ولا ينقطع المدد وفي كل آنٍ يُنصرون.

ومن علاماهم أنّهم يُعطَون رعبًا من رهم، فتفرّ العِدا من مباراهم، ويُخفون وينكّرون أنفسهم عند ملاقاهم، ويهربون ويتستّرون كمثل رجل جُدِعت ثُنْدُوءتُه للجريمة، فيعاف اللُّقيان لوصمة الروثة، هذا رعبٌ من الله لقومٍ له يكونون.

ومن علاماتهم أنّهم قوم يسعون في سبل الله كَثَوْهَدٍ فَوْهَدٍ، وإذا قاموا لأوامره فهم ينشطون، ولا ترى فيهم كسلاً ولا وهنًا ولا هم يترددون. وتشرق الأرض بنورهم، ولا يجهل مقامهم إلا المتجاهلون، ولا ينكرونهم أعداؤهم بل هم يجحدون.

ومن علاماتهم أنّهم قوم يقرُبهم جُدّةُ فيوض الله فكل ساعة منها يغترفون. ويسارعون إليه كأَجاليدَ ولا يمسّهم من لغوب ولا يضعفون. وإذا أخذهم قَبْضٌ تألّموا ولا كجَلْداتِ المخاض، وترى قلوبهم كأَرْضٍ مَجْلودة من علومٍ يُفاض.

ومن علاماتهم أنهم إذا مرّوا برجلٍ جَلَنْدَدٍ يمرّون وهم يستغفرون، ولا تزدري أعينهم أحدًا من التقوى ولا يستكبرون. يعيشون كغريب ويرضون بنَكَدٍ، ويقنَعون على جُهدٍ وجَنَدٍ أولئك قومٌ آثروا ربهم ورجال مسدِّدون.

ومن علاماتهم أنّهم قوم لا يجهد عيشهم، ولا يُعذَّبون بمعيشةٍ ضنكٍ ويُرزقون من حيث لا يحتسبون، ويُجيدهم الله معارف فهُمْ بها يفرحون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يرضون ببضاعةٍ مُزجاةٍ وقليلٍ مما يعملون. وإذا ركبوا أجْوَدُوا، وإذا عملوا كمّلوا، ويتجنّبون ثَعْطَ العمل

وخِداجَه، ولكشفِ الحُجب يخبطون. وإذا عادَوا أو أحبّوا أجهدوا ولا ينافقون.

ومن علاماتهم أنّ قلوبهم أرضٌ جِيدتْ، ولهم فراسةٌ زِيدتْ. يُعصَمون من ضلال وفساد، وما وقعوا في أبي جاد، ويُبعَدون من دَجْوٍ وينوَّرون.

ومن علاماتهم أنّ رقابهم تحمل أعباءَ أمانات الله أكثرَ مِن كل حاملِ أمانة، ثم لا تتأوّدُ رقابهم بل تجعلهم كامرأةٍ جَيْدانة، ويتراءى منه حسن الاستقامة، ويُرَى كالكرامة، فعند الله والناسِ يُكرَمون.

ومن علاماتهم أنّهم يوفَّقون لارتداعهم عن كل أمرٍ حَدَدٍ، ويُعطَون أَسِدّةً لدفع الوساوس ويردف لهم مددٌ خلف مدَدٍ، ذلك بأنهم قوم منحردون، وإلى الله منقطعون. يجرّدون أنفسهم ويسعون إلى الله وُحدانا، ولا ترى مثلهم حَرْدانًا، وتَسفتُ حرافدُهم إلى حِبِّهم ويقدّمون على كل شيء لُقيانًا، ومِن خوف الهجر يذوبون. الحكمة تنبت من حَرْقَدهم، والفراسة تتلألأ من جبهتهم، وكَالْقُلَيْذَمِ يفيضون.

ومن علاماتهم أنّهم يَتَدَهْمَكون لله ولا يُحجِمون، ولا يوجد لهم حَتْنٌ في ذلك وهم فيه يتفرّدون. ولا يُضاهيهم فردٌ من المحجوبين ولو يحرصون. ولولا حتامتُهم لهلكت الناس، ولولا احتدامهم لبردت

محّبة الله من قلوب الأناس، ولحفدوا إلى الخنّاس، ولقطَع الله عَسْبَ العارفين ولهدَم الإيمان من الأساس، فذلك فضل الله على خلقه أنهم يُبْعَثون. وإنّ الناس كلهم كعِلْبٍ ويُصلِحهم هؤلاء، ومَن فقدهم فهو كيتيم، ومَن فقد الفطرة فهو كعَجِيٍّ، ومَن فقدهما فهو كلطيم ومِن الأشقياء، فطوبى للذين يُعطَون الكلَّ ويجمعون.

ومن علاماتهم أنّهم يجتنبون الحسد الذي يشابه الحَسْدَل، ذلك بأنهم يتمصّحون من روْحٍ من ربهم فتُشرَح صدورهم ويُرفَعون إلى العُلى فلا يَهْوُون، ويُعصَمون مِن أسفلَ ويُحفَظون.

ومن علاماتهم أنّهم يُبعَثون في وقت يكون الناس كاليتامى ولا يواسيهم أحدٌ لاحتباكهم، ويهلك الناس بموت الكفر والفسق ويُغبِّبُ علماءُ السوء عن هلاكهم ولا يبالون، وكل ذلك يظهر على عِدّاهم وبه يُعرَفون. فإذا رأيتم أن الناس يغتهبون ويكذبون، ويشركون بالله ويفسقون ويزنون، ويخرجون من الدين ولا ينتهون، فاعلموا أن وقت بعث رسولٍ أتى، وجاء وقت التذكير لمن نسي الهدى، فطوبى لقوم يسمعون.

ومن علاماتهم أنّ القوم إذا اتخذوا سُبلهم شَذَرَ مَذَرَ فهناك هم يُرسَلون. والذين يمأَرون عليهم يعاديهم الله فينخرون ويُطرَدون من الحضرة ويُمتَرون، وإن لم ينتهوا فيُدمَّرون ويُهلَكون. ويجعل الله

جذبًا في قلوب أوليائه، فيَكفَتون الناس وإلى أنفسهم يجلبون. ولو لم يتبعهم الناس لتبعتْهم الحجارة والمَدَرة، وجُعلتْ أناسًا، فلِلحق يشهدون.

ومن علاماتهم أنّهم قوم لهم عُلَقٌ شديدة بالله، لا تثقّب فيها مَدَريّةٌ ولا سَمْهريةٌ، ولا سيفٌ جائب ولا سهمٌ صائب، ولا يموتون إلا وهم مسلمون.

ومن علاماتهم أنّهم يتكرّمون عمّا يشينهم، ويُكرَمون بكل ما يزينهم، ويُبعَدون عن الشائنات، ويؤيَّدون بالآيات، وتقوم لهم السماءِ والأرض للشهادات، وتبكيان عليهم عند الوفاة، وكذلك يُبجَّلون.

ومن علاماتهم أنّ الله يجعل بركاتٍ في بيوتهم وثيابهم، وفي عمائمهم وقمصهم وجلبابهم، وفي شفاههم وأيديهم وأصلابهم، وكذلك في جميع آرائهم، وفي حُتامتهم، والثمد الذي يبقى بعد تشرابهم، ويكون معهم عند هَوْنهم وعند اجلِعْبابِهم، ويجيب دعواتِهم فلا يخطئ ما يُرمَى من جِعابهم، ولا يمسّهم فقرٌ ويُدخِل بأيديه مالاً في جِرابهم، ويُكرِمهم عند مَشيبِهم أَزيَدَ مما كان يُكرِم في عِدّانِ شبابهم، ويخلق فيهم جذبًا قويًا ويُرجِع خلقًا كثيرًا إلى جنابهم، وإذا سألوا قام لجوابهم، ويعينهم ليُعرَفوا بتحابُبِه ولتنشرح الصدور

لاستحبابهم، ويُوغِره تحريبهم ويُهيّج رحمَه اضطرابُهم، فسبحان الذي يرفع عباده الذين إليه يتبتّلون.

ومن علاماتهم أنّهم يحسبون ربهم خزينةً لا تنفد، وعينًا لا تركُد، وحفيظًا لا يرقُد، وخفيرًا لا يَعْنُد، وملِكًا لا يُفْرَد، وحبيبًا لا يُفقَد، ومَخْدومًا لا يكنَد، وعَليًّا لا يلبُد، ومحيطًا لا يمكُد وحيًّا لا ينكد، وقويًّا لا يُهوِّد، وديَّانًا يرسل الرسل ويُوفِد، ويرون أن الخَلْق خُلقوا مِن كلمه وإليه يَرجعون.

ومن علاماتهم أنّهم يُبتلون ذات المرار، ثم ينجّيهم ربهم ويُنصرون. وما كان ابتلاؤهم إلا ليظهر فضل الله عليهم وليعلم الجاهلون.

ومن علاماتهم أنّهم يتمزّرون من شرابٍ طهور، وتُملأُ قلوبهم من نور، وترى في وجههم أثر إكرام الله وحُبورٍ، ومن أيدي الله يُنعَّمون.

ومن علاماتهم أنّهم بَيِّنُ المَزَارةِ.. يقتحمون مَواميَ لا يقتحمها إلا رجلٌ مَزير، وينحرون نفوسهم ابتغاء مرضات الله القدير، ولا تجدهم على ما فعلوا كحسير، بل يوقنون أنهم يكنـــزون أموالهم في السماء، وهناك لا يسرق سارق ولا يُنهَبون.

ومن علاماتهم أنّهم قوم كالمستفشار، المعتصَر بأيدي الغفّار، يتلقّون من ربهم مِن غير وساطة الأغيار، ويُعطَون ما يشتهون، أو كالمشيرة التي يمتشرها الراعي بمِحْجَنه، لا كتَفَراتٍ تتساقط مِن غير تضمُّنه، وينظرون إلى ربهم ولا يُحجَبون.

ومن علاماتهم أنّهم يسعون حقّ السعي في الله ولا زِمام ولا خِزام، وتحتدم نار في قلوبهم فيقتدون الضِّرام، ويكابدون بها الأمور العظام، ويفعلون بقوة نارهم أفعالاً تخرق العادة وتُعجِب الأنام، وتحيّر العقول والأفهام، وترى الحَذْمَ في أعمالهم ولا كسل ولا إلحامَ فإنْ غَرَوتَ أيها السامع فلستَ من الذين يبصرون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يعذَّبون، ويُجعَل لهم الإيلام كالإنعام فلا يتألّمون، وتُفتح لهم أبواب الرحمة ويُرزَقون من حيث لا يحتسبون، ذلك بأن لهم زلفى ومقام في حرم الجليل الجبّار، فكيف يُلقَى الحِرْمِيُّ في النار، وكيف يعذَّبون؟ ولا يعذَّب أولادهم بل أولاد أولادهم وكل واحد منهم يُرحمون. ويجعل الله بركةً في نسلهم فكل يومٍ يزيدون. ونحن نُخبِر بالعلّة التي أوجب الله من أجلها هذه المراعاةَ، وأراد أن يُكثِر أبناءهم وأبناء أبنائهم ويريحهم ويجتنب الإعناتَ، فكان ذلك بأنهم يبذلون نفوسهم لوجه الله ويحبّون أن يموتوا في سبيله ولا يريدون الحياة، فاقتضى كرم الله أن يردّ إليهم ما آتوا مع

زيادة من عنده، ويوصل ما كانوا يحسمون. وكذلك جرت سُنّته في عباده أنه لا يضيع أجر قومٍ يحسنون، ولا يضرب الذلّة على الذين يتذللون له بل هم يُكرَمون. ومن صافى ربَّه ووفّى، وستر أمره وأخفى، ما كان الله ليتركه في زوايا الكتمان، بل يكرمه ويُعِزّه ويفور لطفه لإكرامه بين الناس والإخوان، ويحبّ رَفْعَ ذِكره إلى أقاصي البلدان كما ينهم الجوعان. وإن العبد المقرّب يقنع على بُلْسَنٍ ويعاف التنعّم والإدمانَ، فيخالفه ربُّه ويعطيه العناقيد والرمّان، وإنه يختار حجرة الاختفاء، ليعيش مستورًا إلى يوم الفناء، فيُخرجه الله من حجرته بالإيحاء، ويرجع مخلوقه إلى حضرته فيأتونه بالهدايا والنعماء ويخدمون. ويوضع له القبول في الأرض ويُنادى في أهل السماء أنه من الذين يحبّهم الله ويحبّونه وله يخلصون. ويكون الله عينَه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها. هذا أجرُ قوم يكونون لله بجميع وجودهم ولا يشركون، ويقضون الأمر أهَم له، ثم بعد ذلك لا يبدّلون القول حتى يموتوا وإليه يرجعون.

ومن علاماتهم أنّهم ينسلخون من نفوسهم كما تنسلخ الحَيَوات من جلودها، وتنطفئ نيرانها بعد وقودها، ثم تُجدَّد فيهم الأماني المطهَّرة، وتُعَدّ لهم ما تشتهيها نفوسهم المطمئنّة، وتُهيَّأُ لهم في زمنٍ ماحِلٍ المآدبُ الروحانية، فيأكلون كلّ ما وُضع لهم بل يتحطّمون،

ويجمعون الخير كامرأةٍ مُمغِلٍ ويجتنبون الغيثَّ ولا يقربون. يبدأون من أرض إلى أرض أخرى ولا يتركون النفس كأَدْلَمَ بل يبيّضون.

ومن علاماتهم أنّهم لا ينكرون كلمة الحق وإمام الزمان ولو يُلقَون في النيران، ولا يضيّعون إيمانهم ولو يقتَّلون بالسيوف المصقولة أو يُرجَمون. يُعجِب الملائكةَ صدقُهم، وفي السماء يُحمَدون. أولئك قوم سبقوا كلَّ هَدٍّ، وليسوا كهِدٍّ، ودَعْثَروا قصرَ وجودهم لِحِبٍّ يؤْثرون. إن الله وملائكته يصلّون عليهم والصلحاءُ والأبدال أجمعون. صدقوا فيما عاهدوا، وقضوا نحبهم لوجه الله، فالإيمان ذلك الإيمان، فطوبى لقوم به يتّصفون.

إن مثلهم كمثل "عبد اللطيف" الذي كان من حزبي وكان من أرضِ بلدةِ "كابل"، وكان زعيمَ القوم وسيّدهم، وأمثلَهم وأعلمهم، وأتقاهم وأشجعهم، وبَدْءَهم في السؤدد وأبهاهم. إنه أرَى هذا الإيمان. وهدّدُوه بوعيد الرجم ليترك الحق فآثر الموت وأرضى الرحمان. ورُجِم بحكم الأمير فرفعه الله إليه، إن في ذلك لنموذجًا لقوم يغبطون.

إن الذين يُقتَلون في سبيل الله لا تحسبوهم أمواتا بل أحياءٌ عند الله يُرزقون. ومَن قتل مؤمنًا متعمّدًا فجزاؤه جهنّم خالدًا فيها وغضب

الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا أليما، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

إن السماء بكت لذلك الشهيد وأبدت له الآيات، وكان قدرًا مفعولاً من الله خالق السماوات. وقد أنبأني ربي في أمره قبل هذا بوحيه المبين، كما أنتم تقرأونه في "البراهين" أو تسمعون، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ولمّا رحل الشهيد المرحوم من دار الفناء، وسلّم روحه إلى ربه بطيب النفس والرضاء، فما أصبح الظالمون إلا وابتُلوا برِجْزٍ من السماء وهم نائمون، وجعلوا يفرّون من أرض بلدة "كابل"، فأُخذوا أينما ثُقفوا، وأين تفرّ الفاسقون؟ إنّ في ذلك لعبرةً لقوم يحذرون.

ومن علاماتهم أن الملائكة تنـــزل عليهم بالبركات، ويُكرِمهم الله بالمكالمات والمخاطبات، ويوحي إليهم أنهم مِن سُراة الجَنّات، وأنهم مقرّبون، ولهم فيها ما تدّعي أنفسهم ولهم فيها ما تشتهون. وينـــزل عليهم كلام لذيذ من الحضرة، وكَلِمٌ أُفصِحتْ من لدن رب العزة، ويُنبَّأون بكل نبأٍ عظيم، وأنباءِ الغيب من القدير الكريم، ويُغاث الناس بهم عند إسناتهم، ويُنجَون من آفاتهم، ويُغيَّر ما بقومٍ بتضرّعاتهم، وتُستجاب كثير من دعواتهم، وتظهر الخوارق لإنجاح حاجاتهم، مع إعلامٍ من الله وبشارةٍ بتعذيب قومٍ لا يألِتون أنفسَهم

مِن فأهم، وكذلك يؤيَّدون، ويبشَّرون ويُنصَرون، وينوَّرون ويُثمِرون، ويُهلَكون مرارًا ثم يُذرَأون حتى يروا ربّهم وهم يستيقنون. ولا تطلع عليهم شمس ولا تجنّ عليهم ليلة، إلا ويُقرَّبون إلى الله، ويزيدون في علمهم أكثر مما كانوا يعلمون. وإذا بلغوا الشيب يكمُل شبابهم في الإيمان، فيتراءَون كرجلٍ مُطهَّمٍ كأنهم فتيان مراهقون. وكذلك يزيد إيمانهم وعرفانهم بزيادة أعمارهم، ويزيدون في التقوى حتى لا يبقى منهم شيء ولا من آثارهم، ويبدَّلون كل آن، ويُنقَلون من عرفان إلى عرفان آخر هو أقوى من الأول في اللمعان. وكذلك يربّيهم ربّهم بفضل وإحسان، ولا يتركهم كسهمٍ نِضْوٍ بل يجدّدهم بتجديد نور الجنان، ويقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال، وتجري عليهم شهواتُ النفس وهم تتزاورون● عنها بمشاهدة الجمال، وتحسبهم أيقاظًا وهم رُقودٌ في مهد الوصال، ولا يُتركون سُدًى بل يجعلون عناقيد من القُعال، ويبدَّلون ويغيَّرون ويُبعَدون عن الدنيا ويبلغون من مقامات إلى أرفع منها بحكم الله الفعّال. وآخِرُ ما ينتهي إليه أمرهم أنهم يُحيَون بعد مماتهم ويُوصَلون بعد انفتاتهم، ويَرِدُ عليهم موتٌ بعد موتٍ ثم يُعطَون حياةً سرمدًا لمصافاتهم، ويُحفَظون من غُواءِ إبليس وممن يعشو عن ذكر الله ومِن

● *لعله سهو والصحيح يتزاورون. (الناشر)*

معاداتهم، وإذا بلغوا غاياتِهم، يُعطَون مقاما لا يعلمه الخَلق ويَنْأَون عن عَرَصاتهم. ويكونون نورًا تخسأ منه العيون، وفي نور الله يغيبون. ولا يعرفهم إلا الذي يعرّفه الله ويكونون غيب الغيب وروح الروح وأخفى من كل أخفى، يرجع البصر منهم خاسئا ولا يرى. وإذا تَمَّ اسمهم الذي في السماء وعند ربهم الأعلى، وكمُل أمرهم الذي أراد الله وقضى، نُودِيَ في السماء لرجوعهم إلى السماء، فإلى ربهم يبوءون. وتخرج نفوسهم إلى الله راضيةً مرضيّة، فتندلق من أجسامها كما يندلق السيف من جفنه، ويتركون الدنيا وهم لا يشحبون. يرون الدنيا كشاةٍ بكيئةٍ أو ميتةٍ تعفّنَ لحمها، فلا تُمَدّ عينهم إليها ولا هم يتأسّفون. ويتبوّأون دارَ حِبِّهم فبالمرهَفات لا يتركون، ولا يلومهم إلا مِجْهَبٌ ولا ينكرهم إلا قوم عمون.

ويلٌ للعضّابين فإنهم يُهلكون. ويلٌ للمغتهبين فإنهم يُنهَبون. ويلٌ للمفترين فإنهم يُسألون. ويلٌ للذين تبذَأُ عينهم عبادَ الرحمن فإنهم يموتون وهم عمون. ويلٌ للذين يَتفَأون إذا سمعوا الحق فإنهم بنارهم يحرقون.

ومن علاماتهم أنّهم يُعطَون كلماتٍ تُفصَحُ مِن عند ربهم، فما كان لبشر أن يقول كمثلها ولا يبارزون. وإن عباد الرحمن قد يتمنّون كَلِمًا فصيحة، كما يتمنّون معارف مليحة، فيُرزَقون كل ما

يطلبون. وكذلك جرت عادة الله في أوليائه أنهم يُعطَون لسانًا، كما يُعطَون جنانًا، ويُنطِقهم الله، فبإنطاقه ينطقون. وكما أن المرأة إذا وحِمتْ يُعِدّ لها بعلُها ما اشتهت، فكذلك إذا نُفخ الروح فيهم خلقتْ فيهم أماني من الله لا من النفس الأمّارة، فتُعطَى أمانيُّهم ولا يُخيَّبون. وكذلك أُعطيتُ كلامًا من الله، فأْتوا بمثل كتابنا هذا إن كنتم ترتابون.

ومن علاماتهم أنّهم ينــــزلون من السماء كغيث يساق إلى أرضٍ جُرُزٍ فيدعون الناس إلى مائهم وهم يثوّبون. وينتزعون القلوب من الصدور جذبا من عندهم، فيهرول الناس إليهم وهم يُغَسْلَبون.

ومن علاماتهم أنّهم ليسوا كضنينٍ في إفاضة النور، ولا كالنّاقة الْمَصُور، ولا هم يبخلون. قومٌ لا يشقى جليسهم، ولا يخزى أنيسهم، مباركون مِن أنفسهم، ويباركون الناس ويُسعِدون. يخضِّرون أرضًا أَمْعَرتْ، ويُحيون قلوبًا ماتت، ويعيدون دُوَلاً ذهبت، ويرُدّون بلايا أقبلت، ويوصلون عُلَقًا قُطعت، ويسجُرون أنهارًا نزف ماؤها وتخلّتْ، وكلّ ما خرب من الدين يعمرون. لهم صدورٌ مُلِئت من النور، وقلوب ملئتْ من السرور. وإنهم نجوم السماء، وبحار الغبراء، وأرواح الأجساد، وللأرض كالأوتاد. لا يبدّلون عهدًا عقدوا مع الله وهم يبدَّلون. وإنهم أبدالٌ يبدِّلهم الله، وإنهم أقطابٌ لا

يتزلزلون. وإنهم مُصْطَخِمُون للهِ، صلَموا الأمّارةَ مِن أصلها وعلى أمر الله قائمون. ويَزُجُّون الحياة في هموم، ولا يعيشون كعَيْصُومٍ، ولا يقنعون بظاهر الغسل كعَيْشُومٍ، بل يسابقون إلى مَعين يطهّر نفوسهم ولا يتضيّحون.

وإنهم حَفَظة الله على الناس عند البأس، ولوجود الخلق كالرأس، وفي بحر خلق الله كالدرّ المكنون. يفتحون الملحمة العظمى التي هي بالنفس الأمّارة، فيفتحون القلوب بعده بإذن الله ذي العزّة ويغلبون. ويحيَون بعد الموت، ويعافهم الناس فهم يمضخون. لا تجد بُوصِيًّا كمثلهم إذا طما الماء واشتد البلاء، وارتفع الزفير والبكاء، وعند ذلك هم الشفعاء، بإذن الله الذي منه يُرسَلون. وإذا بلغت القلوب الحناجرَ، قاموا وهم يتضرّعون، وخرّوا وهم يسجدون. هناك تملأ السماءَ دعاؤهم، ويُبكي الملائكةَ بكاؤهم، ويُسمَع لهم لتقواهم، فيُنجَى الناسُ مِن بلاءٍ به يقلقون. وإنهم قومٌ يضمجون بالأرض ويضبَحون بتوالي السجدات عند توالي الآفات، ويُبلّونها بالعبرات، ويقومون أمام الله دافع البليّات في الليالي المظلمات، ويُقبِلون إلى ربهم بصدق يُرضي خالق الكائنات، ويموتون لإحياء قومٍ كانوا على شفا الممات، فيبدِّلون القدر وبالموت يشفعون، وبالنَّصَب يُريحون، وبالتّألّم يبسَأون.

يواسون خلق الله ويتخوّنونهم عند الداهيات، ويعملون عملاً يُعجِب الملائكةَ في السماوات، ويسبقون في الصالحات، وتُشجَّع قلوبهم فيمشون في المائرات، ولو جُعلتْ سرمدًا إلى يوم المكافاة، ولا يتخوّفون. ولا ينتتمون على أحدٍ بقولٍ سوءٍ وعند فُحش الناس يَجِمون ويكظمون. ولا يتمايلون على جيفة الدنيا ويتركونها للكلاب، ويحسبونها حَفنةً مِن عظامٍ بل وَنِيمَ الذباب، فلا يرتدّ طَرْفُهم إليها ولا يلتفتون.

ويجعلون أنفسهم كشجرةٍ شَعْواءَ، فيأكل الجوعان ثمارهم من كل طرف جاء، نِعْمَ الأضياف ونِعْمَ المضيفون. قومٌ مُطهَّمون. ويدفعون بالحسنة السيّئةَ، ويخدمون الورى، ولا يؤذون مَن آذى، ومَن تمخَّى إليهم فيقبلون. وإذا لقوا من أعدائهم الأَزابِيَّ دفعوه بالمنّ ويجتنبون التّسابّ ولا يعسمون. يدْعون لأعدائهم دعاء الخير والسلامة والصحة والعافية والهداية من الله، ولا يتركون لأحدٍ في صدورهم مثقالَ ذرّة من الغِلّ ويدْعون لمن قفاهم وازدرى، ويُؤوون إلى عصاهم مَن عصى، فيتجلى الله عليهم بما كانوا آثروه ورحموا عباده، وبما كانوا يخلصون. أولئك هم الأبدال وأولياء الله حقًّا، وأولئك هم المفلحون. تُبارَك الأرض بقدومهم، ويُنجَّى الناس عند همومهم، فطوبى لقومٍ بهم يرتبطون.

رب اجعلني منهم وكُنْ لي ومعي إلى يوم يُحشَر الناس ويُحضَرون. ربّ لا تؤاخذْ مَن عاداني فإنهم لا يعرفونني ولا يبصرون. ربّ فارحمْهم مِن عندك واجعلهم من الذين يهتدون. وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم أيها المنكرون. ألا تشكرون لله وقد أدرككم في وقت تُهلَكون فيها وتُخطفون؟ وإنْ شكرتم ليزيدنّكم، وتُعطَون كلَّ ما تتمنّون وتشتهون. وإن تكفروا فإن جهنم حصير لقوم يكفرون.

ومن علاماتهم أنّهم لا يؤذون ذرّة ولا نملة، وعلى الضعفاء يترحّمون. ولا يقطعون كل القطع ولو عاداهم الأشرار الذين يؤذون مِن كل نوع ويعتدون، بل يدْعون لأعدائهم لعلهم يهتدون. ولا تجدهم كفَظٍّ غليظِ القلب ولا تجد كمثلهم أرحمَ وأنصحَ للناس، ولو شرّقتَ أو كنت من الذين يغرّبون. يدْعون للذين أصابتهم مصيبة، حتى يُلقون أنفسهم إلى التهلكة، فإذا وقع الأمر على أنفسهم يُسمَع دعاؤهم في الحضرة وبها يُنبَّأون. ذلك بأنهم يبلّغون دعواتِهم إلى منتهاها، ويُتمّون حقّ المواساة ولا يألِتون. يُذيبون أنفسهم ويُلقونها إلى الدمار، فينجُّون بها نفوسًا كثيرة من التبار، وكذلك تُعطى لهم فطرةٌ وكذلك يفعلون. يقومون في ليل دامسٍ والناس ينامون. ويرون نور أعمالهم في هذه الدنيا وكلّ يوم في نورهم

يزيدون. ويرون نضارةَ ما قدّموا لأنفسهم ولا يكونون كمُهَلْوِسين. ويجتنبون كلّ معصية، ولو كانت صغيرة، فلا يقربوها ولا يغتمصون. ويُمزِّزون العمل الصالح ولا يزدرون.

وإني بفضل الله من أوليائه، أفلا تعرفون؟ وقد جئتكم مع آيات بيّنات، أفلا تنظرون؟ أما خُسف القمرانِ؟ أما تُرِكَ القِلاص في جميع البلدان؟ ما لكم لا تتفكّرون وقد جاءت بيّنات من الرحمان، ونزل منه السلطان، فأي شك بعد ذلك يختلج في الجَنان، أو أيّ عذرٍ بقي عندكم أيها المعرضون؟ أما أُشيعَ الطاعون، وكثُر المَنون؟ وشاع الكذب والفسق وغلب قوم مشركون، وبدا انقلاب عظيم في العالم وظهر أكثر ما تنتظرون. فما لكم لا تحسنون الظنون وتعتدون؟

أيها الناس.. لِمَ قدّمتم بين يدي الله وحَكَمِه إنْ كنتم تتّقون؟ أهذه تُقاتكم أنكم كفّرتموني وما علمتم حق العلم، وما تسألون بقلوب سليمة، وإنْ سُئل عنكم تتوقّدون؟ أشَقَّ عليكم أن الله بعثني على رأس المائة واختارني لأجدد دين الله صلاحًا، وأُفحِم قومًا زاد غُلُوُّهم في اتّخاذ عيسى إلهًا، وأكسر صليبًا يُعلُونه ويعبدون؟ أو أغضبَكم ما خالفَكم ربي في وحيه؟ وكذلك غضِب اليهودُ من قبل فما لكم لا تعتبرون؟

أيها الناس.. إني أنا المسيح الذي جاء في أوانه، ونزل من السماء مع برهانه، وأراكم آياتِ الله فيكم وفي نفسه وفي أعوانه، وشهد الزمان له بلسانه، وشهد الله له في قرآنه، فبأي حديث تؤمنون بعد شهادة الله وبيانه؟ ألم يأنِ أن تتقوا الله ويوم لقيانه؟ وأن تتّقوا يوما يُذيب الجلود بنيرانه؟ ألا تتفكّرون في آيات الله، وأيّ شهادة أكبر من فرقانه؟ ألا ترون إنْ كنتُ من الله وتنكروني فكيف يصيبكم حظٌّ من أمانه؟ ألا تقرأون قصص اليهود.. كيف جُعلوا من القرود؟ ألم تكن عندهم معاذير كما أنتم تعتذرون؟ فارحموا أنفسكم، إلامَ تجترئون؟ ولا تحاربوا الله أيها الجاهلون. ما لكم لا تذكرون موتكم ولا تتّقون؟ إن الغيور الذي أرسلني وعصيتموه إنه هو الصاعقة، ولا يُرَدّ بأسه عن قومٍ يُجرمون. إنه يسمع ما تتفوّهون به ويرى نجواكم، ويرى كل ما تمكرون. وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

ويلٌ للذين لا يفرّقون بين الصادق والكاذب ولا يَفرَقون، ولا يعرفون الصادقين من وجوههم ولا يتفرّسون، ولا يذوقون الكلماتِ ولا ينتفعون من الآيات، ختم الله على قلوبهم فهم لا يتفقّهون.

أيها الناس.. لِمَ تستعجلون في تكذيبي، فما لكم لا تسلكون كالمتّقين، وتَهذُون ولا تتزمّتون؟ ما لكم لا تُمعِنون في قوله ﷿ حكايةً عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، أَوَلا تُتوَفَّون وتخلُدون؟ أم رأيتم

عيسى إذ صعد إلى السماء، فقلتم كيف نترك ما رأينا وإنّا مشاهدون. تعسًا لكم، لِمَ تُضلّون زَمَعَ الناسِ بغير علم ولا تتّقون الذي إليه ترجعون؟ تصرّون على الكذب وتعلمون أنكم تكذبون، ثم على الزور تجترئون. ولو كنتُ لا أُبعَث فيكم لكنتم معذورين، ولكن ما بقي عندكم عذر بعد ما بعثني الله، فما لكم لا تخافون؟ بئسما فعلتم بحَكَمٍ من الله وبئسما تفتعلون.

يا حسراتٍ عليكم! ما عرفتم الزمان وما تذكّرتم ما قال النبيّون، وقد منّ الله عليكم بآيات من عنده، فما نظرتم إليها وتصاممتم وتعاميتم، وصرتم من الذين يموتون. وما تركتم ذرّة من ضلالاتكم بل عليها تُصرّون. إنّ الله قد صرّح لكم وقت مسيحه وما ترك من أدلّة، ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة، فما لكم لا تفهمون هذا السرّ ولا تتوجّهون؟ أليست هذه المائة مائةَ البدر؟ فما لكم لا تقدِرون آيَ الله حقّ القدر ولا بها تنتفعون؟

وقالت السفهاء كيف نتّبع الذي شذَّ وكيف نترك سوادًا أعظم؟

وما جاء نبي إلا كان من الشاذّين وكان عن الضلال تكرّمَ. انظرْ كيف نزيل وساوسهم ثم انظر كيف يتعامون. إنهم نسوا يوما يرجعون إليه فُرادى ثم يُسألون عما كانوا يعملون. ما لهم لا يؤانسون موسى وعيسى ونبيَّنا الأكرم، كيف بُعِثوا شاذّين في

أوائلهم، ثم اجتمع عليهم فوج من الصلحاء وكلٌّ صدّق وسلّم، وآمنوا بمن شَذَّ وتركوا سوادهم الأعظم، إلا الذي ذُرِئَ لجهنم. فويلٌ للذين تركوا مبعوث وقتهم، أولئك هم الذين شذّوا وسمّاهم نبيُّنا فَيْجًا أعوجَ وأشأمَ، وقال إنهم ليسوا مني ولستُ منهم، فهم الشاذّون كما تقدّمَ. إذا جاءهم حَكَمٌ من ربهم فَقَأُوا عيونهم وأصمّوا آذانهم وما سألوا عنه وصاروا كأبكَمَ.

وإن الله بعثني على رأس هذه المائة، بما رأى الإسلام في وِهاد الغربة، ورآه كأرضٍ حشاةٍ سوداءَ أو كَحَشِيٍّ مما يُنبِتون، أو كلحمٍ نَتِنٍ وكاد أن يكون كنَيْتُونٍ، ورأى النصارى أنهم يُضلّون أهل الحق وينصّرون، ويسبّون نبيَّنا ظلما وزورا ولا ينتهون، ورأى العلماءَ ما بقيت فيهم قوة الإفحام، ولا فصاحة الكلام، ولا يحتكئُ نطقُهم في نفس بما لا ينطقون برُوحٍ من الله ولا هم يفصحون، بل يوجد فيهم تكنّعٌ ويُفَطْفِطون، ذلك بما عصوا ربهم بقول لا يقارنه فعلٌ وبما كانوا يُراؤون. ولما جئتُهم من ربي أعرضوا وقالوا كاذب أو مجنون. وما جئتُهم إلا وهم يَسْهُون في الصالحات وعن الصالحات، وينبِذون السُّعْدةِ وبالنَّيْتونِ يفرحون. وأمليتُ لهم رسائل فيها آيات بيّنات لعلهم يتفكرون، فما كان جوابهم إلا الهزء والسُّخر، وكذّبوا بآي الله وهم يعلمون. وقالوا إنْ هو إلا افترى، وأعانه عليه قوم آخرون.

وقال بعضهم دهريٌّ لا يؤمن بالله، فاقرأْ أيها الناظر ما كتبنا وأشعنا، ثم انظرْ كيف يهذرون. وإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا، فويلٌ لهم يوم يلقون الله ويُسألون. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذّب بآياته إنه لا يُفلح الظالمون.

وقالوا ما جئتَ بسلطان من عند الله. بل لهم أعين لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، وآذان لا يسمعون بها، وإنْ هم إلا كسارحة يتيهون خليعَ الرسن ويرتعون، وتبيّنَ الحق وهم يُعرِضون. يكتبون رسائل ليستروا الحق، وإنّا اقتتبنا أيديهم فما يكتبون. وإني أَقتَبْتُهم يمينًا وقلتُ بارِزوني إن كنتم تصدقون، فلَكَأوا بمكانهم وما خرجوا، كأنّ الأرض تلمّأت بهم وكأنهم من الذين يَعدِمون. ثم إني قمتُ لهم في ليالٍ مباركةٍ ودعوتُ لهم في أسعائها لعلهم يُرحمون. وما كان الله ليتوب على أحدٍ إلا على قومٍ يتوبون. منهم قومٌ اعتدوا، ومنهم كشيءٍ مقارب وليسوا على طريقٍ ناهجة، ولا يستنهجون. ومَن تقرّبَ إلى الله شبرًا، يتقرّب إليه ذراعًا، ولكن الظالمين لا يتوجهون. قَرْضَبوا عُلَقَ الله وهم على الدنيا يتمايلون، وأصابهم زمهريرُ الغفلةِ فَاقْرَعَبّوا وهم منه كلَّ آنٍ يُقَرْطَبون. قشَّبوا صالحًا بما فسد، وقضَّبوا كَرْمَ الإيمان ولا يبالون. وإذا قيل لهم إن الله قد اصطخمَ لكم وأرسل الطاعون، قالوا مرضٌ يأتي ويذهب ولا

يأخذنا المَنون. انظرْ كيف يُنبَّهون، ثم انظر كيف يتناعسون. يرون الموت ولا يتّعظون. تراهم يلهَجون بزخارف الدنيا ولا يشبعون. وإذا قُرئ عليهم ما أنزل الله ازْوَرُّوا مهرولِين وهم يشتمون. تراهم جيفةَ ليلِهم وقُطْربَ نهارِهم، يهيمون لدنياهم وعن الآخرة يغفلون. ولا تتركهم صَواكِمُ الدهرِ ثم مع ذلك لا يتنبّهون. وإذا عُرضت عليهم كَلِمُ الحق سمعوها وهم يَتْأَقُون، ويعافون ما يسمعون، ويبذَأون ما يقرأون. يعلمون أنهم ميّتون ثم يتعامشون. يبكون للدنيا كالأعمش وهم عن الآخرة غافلون. زيّن الشيطان لهم أهواءهم، فعُنِّشوا إليها، فأحبط الله أعمالهم، وأفسلَ عليهم متاعَهم، ولُعِنوا وهم لا يعلمون. يختارون ثَمَدًا حَمِئَ وَصَرِيَ، ويتركون غَمْرًا غيرَ غَشَشٍ، ذلك بأنهم أفشالٌ فعَلَى الأدنى يقنعون. يتركون لونًا لا شِيَةَ فيها، ويختارون الرَّقْشَ ويقعدون بين الضِّحِّ والظِّلِّ، ولا يتركون مقاعد إبليس ولا ينتهون. وحَبابُهم أن تُفتَح عليهم أبواب الدنيا ويُعطَوا فيها كلَّ ثمرة من ثمارها ويسمَّغون. يكفّرونني ولا أدري على ما يكفّرونني، وآلَتْناهم بيمين أن يقولوا ما يسترون، فما تفوّهوا بقول وشُدَّ وِكاء قِربتهم فلا يترشحون.

يحسبون وقت نزول المسيح كناقةٍ مُمجِرٍ، ويرون أن الأشراط قد ظهرت، ثم لا يتيقّظون. أما كُسف القمران، وكان الكسف في

رمضان؟ ألا ينظرون كيف تظهر أثقال الأرض، وتجري الوابورة، وتمخر السفائن، وتُزوَّج النفوس، وتُترَك القِلاص، وتُبدَّل الظعائن، وظهر كل ما يأمِتون.

وإن مَرْهَمَ عيسى آية بيّنة على موته، فما لهم لا يفكّرون في هذه الآية، ولا به ينتفعون؟ وإنما مثل المسيح الموعود كمثل ذي القرنين، وإليه أشار القرآن يا أولي العينين، فكفاكم هذا المثل إن كنتم تتأمّلون. وإني أنا الأحَوْذِيُّ كَذي القرنين، وجُمعت لي الأرضون كلها بتزويج النفوس، فكمّلتُ أمر سياحتي وما برحتُ موضعَ هاتين القدمين. ولا سياحة في الإسلام ولا شد الرحال من غير الحرمين، فرُزِق لي السَّيحانُ بهذا الطريق من ربّ الكونين. ووجدتُ في سياحتي قومين متضادَّين: قومٌ صمخت عليهم الشمس ولفحتْ وجوههم نارُ أُوارٍ فرجعوا بخفّي حُنين، وقومٌ آخرون في زمهرير وعينٍ حَمِئةٍ لفقد العين. ذلك مَثلُ الذين يقولون إنّا نحن مسلمون وليس لهم حظ من شمس الإسلام، يحرقون أبدانهم من غير نفع ويُلفَحون، ومَثلُ الذين ما بقي عندهم مِن ضوء شمس التوحيد واتخذوا عيسى إلهًا واستبدلوا الميت بالذي هو حيّ، ويظنون أنهم إليه يتحوّجون. هذان مثلان لقوم جعلوا أنفسهم كعباديدَ، ما نفعهم

ضوء الشمس مِن غير أن تلفح وجوهَهم حرُّها فهم يهلكون، ومثلٌ لقومٍ فرّوا من ضوئها فنُهبوا وهم يغتهبون.

وإني أدركتُ القرنين من السنوات الهجرية، وكذلك مِن سِنِي عيسى ومِن كل سنةٍ بها يُحاسِبون، فلذلك سُمّيتُ ذا القرنين في كتاب الله، إن في ذلك لآية لقوم يتدبّرون.

وما جئت إلا في وقت فُتحتْ يأجوج ومأجوج فيه وهم مِن كل حَدَبٍ ينسِلون، فبُعثتُ لأصون المسلمين من صولهم بآياتٍ بيّناتٍ، وأدعيةٍ تجذب الملائكة إلى الأرض من السماوات، ولأجعل سدًّا لقومٍ يُسلِمون.

الحمد لله الذي أرسل عبده على أوانه، وأنزله من السماء عند فساد الزمان وخذلانه، فهل منكم من يرُدّ قضاءه ويهُدّ بناءه؟ سبحانه وتعالى عمّا تزعمون. وكفّرتموني وما ظلمتم إلا أنفسكم، وإنّي أفوّض أمري إلى الله فسوف تعلمون.

تمّ الكتاب بعون الله الوهّاب.